أثر الوقف
على الدلالة التركيبية

د. محمد يوسف حبلص
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م

الناشر
دار الثقافة العربية
٣ شارع المبتديان - السيدة زينب - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــداء

إلى روح أبى

إلى الرجل الذى طالما حلم
أن يرانى أحد سدنة القرآن الكريم

مقدمة

مقدمة

تمثل البنية الصوتية من جانب والبنية التركيبية (الصرفية والنحوية) من جانب ثان لحمة وسدي النسيج اللغوي ، بحيث يعد الفصل بينهما أو التمييز على أساس الأفضلية عملاً غير علمي ، وعلى الباحث اللغوي حين يرصد تراكيب اللغة ، ويحلل الوظائف التي تقوم بها ألا يغفل بحال العناصر الأساسية (الصوتية والصرفية والنحوية) لأي تركيب . وما أكثر الاهتمام بجانب من هذه الجوانب على حساب الجوانب الأخرى في عمل جل الدارسين المحدثين في لغتنا . وتكاد تقف أهمية الدراسات الصوتية عند مجرد وصف عناصر النظام الصوتي ، والإشارة العابرة إلى أهمية قيام أي تحليل لغوي على أساس من مراعاة البنية الصوتية ، دون أن يتخطى ذلك القول حاجز التنظير والتنبيه ، وقلما نجد عملاً يعني بذلك على مستوى التطبيق الفعلي .

ولم تكن الدراسات اللغوية العربية القديمة بدعاً في ذلك ، فلا نكاد نجد عند القدماء تحليلاً للبنية الصوتية يهدف إلى خدمة البنية التركيبية بشكل واضح ، وإن كانت الدراسات الصوتية عموماً على مستوى الكم ، وربما أحياناً على مستوى الكيف لا تقل عند التناول النظري عما قدّم اللغويون العرب المحدثون ، وبخاصة الذين اتصلوا بهذا اللون من الدراسة في الغرب .

غير أن القارئ لمجمل التراث الثقافي العربي القديم سيجد وعياً حقيقياً بهذه القيمة ، وتوظيفاً غير مباشر للدرس الصوتي في خدمة الدراسة التركيبية على وجه الخصوص .

ولم تزل هذه الدراسات ميداناً خصباً تتجلى فيه جوانب من البحث

المنهجي في بعض جوانب اللغة ، وبخاصة في تلك البحوث التي ليست لغوية خالصة ، مثل كتب التفسير والقراءات القرآنية ، ومعاني القرآن ، وإعرابه .

وإذا أردنا أن نؤسس لدرس لغوي ميداني ، بعد أن طال الحديث عن النظريات اللغوية والاتجاهات العلمية في بحثها قديماً وحديثاً ، فأحسب أن هـذه الدراسـات أقدر علـى أن تقدم للباحثين فـي اللغة العربية تصوراً أكثر دقة ، وأقرب إلى روح العمل الذي ورثناه عنهم متصلاً بنظرية اللغة من كل ما حشيت به مطولات النحو وشروحه ، التي عزلت النظام اللغوي ، وجمدته في جملة من القواعد الصماء ، عزلته عن اللغة بوصفها آلية تفكير ، وأداة تعبير ، وطاقة إبداع .

ولو أنصف الدارسون هذا التراث ، أو أرادوا حقاً الانتفاع به ، لانصرف الجهد العلمي المخلص إلى نصوص اللغة الحية انصرافاً يستهدف استنطاق هذه النصوص بتحليل بنيتها تحليلاً علمياً دقيقاً ومباشراً ، والوقوف على أسرار هذه البنية وفهم فحواها بدلاً من هذا الدوران حولها ، والاكتفاء بالجدل حول القواعد التي وضعوها واعتبار هذه القواعد هي اللغة التي علينا أن نتعلمها وهي المادة التي تستحق البحث والدراسة .

ولست أدعي أن كل المعالجات التي اتجهت للنصوص ذاتها .. وبخاصة النص القرآني قد أصابت هدفها في فهم هذه النصوص ، وإنما الذي أزعمه أن في قراءة هذه النصوص كثيراً من الصواب الذي يرجع إلى وعي حقيقي بأسرار النظام اللغوي – الأمر الذي يفسر لنا لماذا كان إتقان اللغة قاسماً مشتركاً بين المشتغلين بكل العلوم تقريباً .

وقد أفدت من الاتجاه هذه الوجهة في متابعة هذا التناول النصوصيّ عند القدماء ، والتفت إلى ظاهرة صوتية تم توظيفها تركيبياً ، وعنيت برصد أثرها على الدلالة التركيبية ، وأعني بها ظاهرة الوقف . الأمر الذي يجعل هذه الرؤية أكثر شمولاً من تلك النظرة الجزئية للظواهر الصوتية التي يقف بها كثير من الدارسين عند مجرد الرصد النظري فحسب كما سبقت الإشارة .

وعلى مضض اضطر البحث أن يلجأ إلى مدخل تاريخي لقضية الوقف ، غير أن هذا المدخل كان ذا قيمة من ناحيتين .

الناحية الأولى : أن الوقف عند القرّاء أنواع مختلفة ، كما سيعرض البحث ، والذي يعنينا في هذا البحث نوع واحد من هذه الأنواع . وتكاد تكون الكتابات اللغوية الحديثة عن هذه الأنواع عامة ، وعن الوقف موضوع هذه الدراسة خاصة نادرة ، أما القدماء فقد عنوا بهذه الظاهرة عناية فائقة ، وإن كانوا فصلوا القول في أنواعه ، فإن تقسيماتهم تعكس قدراً من عدم الاتفاق سواء حول الأنواع المختلفة للوقف أم مواضعه في النص القرآني . الأمر الذي يحتم التفريق بينها وتحديد ما يتصل منها بالبحث خاصة .

الناحية الثانية : أن البحث يعني بمعالجة الوقف ، وأثره على الدلالة التركيبية وهو أمر يقتضي تحديد المقصود بهذه الدلالة في ضوء أنواع الدلالات الأخرى .

وقد عني الباب الأول الذي يقع في أربعة فصول بمعالجة هذه القضية ذات البعد التاريخي في إطارها العام . وإن اتصل بعض هذا الباب باتجاه

القدماء إلى تصور العلاقات التركيبية تصوراً يتضمن توظيف الوقف والابتداء في خدمة هذه العلاقات ، وما يستتبعه من تأثير على الدلالة التركيبية .

واستكمالاً لفكرة الدلالة التركيبية عني البحث بإبراز فهم القدماء للعلاقة بين وحدات التركيب في ضوء ما أسماه البحث بنظرية التلازم بين وحدات التركيب . وهي نظرية تكشف عن ريادة حقيقية في فهم ما نعرفة بالعلاقات التركيبية Syntactic relations .

على حين كان الباب الثاني هو المحور الأساسي الذي يكشف من خلال النصوص عن أثر الوقف على الدلالة التركيبية ، قضية البحث ومهمته الحقيقية . وكان البحث حريصاً على أن يصل جهود القرّاء بجهود اللغويين والنحاة مع جهود المفسرين ، وهي جهود يكمل بعضها بعضاً في فهم النص وتوجيهه وتجلية المعنى موضوع البحث أو الدلالة التركيبية . وقد شغل هذا المحور التطبيقي الباب الثاني الذي تضمن ثلاثة فصول : الأول : لأثر الوقف المباشر على الدلالة التركيبية ، والثاني : لأثر الوقف مع قرينة أخرى ، والثالث : لأثر الوقف مع قرينتين فأكثر .

ولم يكن المحور التطبيقي نقلاً لنصوص القدماء في أحكام الوقف كما ركزت كتب القراءات ، ولا توجيهاً يتابع إعراب القرآن ، كما عني النحاة من هذا النصّ ، كما لم يكن تفسيراً لمعاني النصوص التي اختيرت على نحو ما شُرح معناها في كتب التفسير ، بل كان استنباطاً يمثل خلاصة نظرهم أو فهمهم لكل ذلك موظفاً توظيفاً يبرز قيمة الوقف وحده أو مع قرائن السياق المقالية الأخرى في توجيه المعنى ، وقد يجد القارئ في هذا الباب شيئاً قرأه

عند القرّاء أو شيئاً آخر قرأه عند النحاة أو شيئاً ثالثاً سمع عنه مما تردده كتب التفسير أو شيئاً رابعاً عرض له البلاغيون ، ولكنه سيقطع بأن ما يقرأه لا يكون إلاّ نتاج هذه الرؤية المتكاملة لتلك المعالجات معاً ، حين يركز الباحث على ظاهرة واحدة كالوقف . وتلك هي إشكالية كل الدارسين الذين يتعرضون لبحث أي نوع من أنواع المعنى ، إن البحث في المعنى يحتاج إلى تعاون عدد من العلوم ، وذلك هو الفارق بين الباحث في جانب من جوانب الشكل منفرداً ، والباحث في قضية المعنى التي تتشابك مع كل الجوانب الأخرى المتصلة باللغة ، وهنا يتساءل المرء ، وأي جانب ليس متصلاً باللغة في نشاط الإنسان؟

وأحسب أن هذا البحث هو حلقة من الحلقات التي تتجه بنا إلى الغوص في أعماق النصوص ، والبحث في أسرار اللغة من داخل اللغة ، لأن ذلك أجدى للبحث العلمي من الحديث عن اللغة ، وطرح النظريات ، والجدل حول المقولات دون أن يكون لكثير منها قيمة على مستوى أداء اللغة العملي لوظيفتها ، أو الكشف عن الآلية التي تؤدي بها اللغة هذه الوظيفة .

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، محققاً الهدف الذي إليه سعيت نافعاً للدارسين الذين يبحثون عن قضايا الدلالة التركيبية ، وهي لعمري من أكثر الجوانب الشائكة في الدرس اللغوي في القديم والحديث .

الباب الأول

أطـــر مــعــرفيـــة

- الفصل الأول : المقصود بالوقف والابتداء .

الفصل الأول :

المقصود بالوقف والابتداء

يثير عنوان البحث في نفس قارئه سؤالين محددين .

الأول : ما المقصود بالوقف في هذه الدراسة ، في ضوء معرفتنا بأنه مصطلح خاص عند علماء القراءات ، ويطلق على أنواع عدة ؟

الثاني : أن الدلالة التركيبية عنوان لغوي يكاد يكود غامضاً ، وضمه إلى الوقف غير المحدد أصلاً يكثف غموض العنوان ، فما المقصود إذن بالدلالة التركيبية ؟ فالدلالة أنواع ، ويكاد أن يكون المصطلح العلمي الخاص بكل نوع منها غير محدد ، بل يختلف من مدرسة لغوية لأخرى ، وربما من باحث لآخر في نفس الاتجاه العلمي .

وسوف ينصب الحديث في هذا الفصل على الإجابة عن السؤال الأول ، ما المقصود بالوقف في هذا البحث ؟

الوقف ظاهرة صوتية أدائية تصاحب الخطاب المنطوق على وجه الخصوص ، وقد شاع إطلاقه على هذه الظاهرة مرتبطاً بقراءة القرآن الكريم ، وإذا كان على الباحث اللغوي أن يصرّف همه إلى معالجة قضايا اللغة عامة ، وأن ينأى عن تناول الظواهر المرتبطة بنصٍ بعينه ، أو بمستوى لغوي محدد ، وبخاصة حين يتناول قضية لغوية أوسع غير مقيدة بنصّ أو مقصورة على مستوى كقضية الدلالة التركيبية ، إذا كان ذلك مهماً للباحث فإن الاستفادة من الدراسات التطبيقية التي حصرت ظاهرة في نص أو قيدتها بمستوى ، بتوسيع دائرة هذه الفائدة لما يعطي للدراسات اللغوية دفعة هي في أمسِ الحاجة إليها .

ولاشك أن الوقف كما سيتضح من هذا الفصل ، ومن مجمل هذا البحث من الظواهر الصوتية ذات الشأن في توجيه المعنى على مستوى التركيب ، وهو في هذا قسيم لظواهر أخرى تلعب نفس الدور ، وأعني بذلك ظواهر كالنبر والتنغيم .

وتكاد تكون هذه الظواهر الهامة مهملة على مستوى التحليل اللغوي قديماً وحديثاً على خطرها البين ، وأثرها غير المنكور على توجيه الوظيفة اللغوية للوحدات ، والتراكيب ، والمعنى الذي تؤديه .

وربما كان مفيداً أن نلقي الضوء على ثلاثة الظواهر السابقة التي تنتمي إلى صنف بعينه من الوحدات الصوتية تعرف بالفونيمات فوق التركيبية Suprasegmental phonemes أو التطريزية Prosodemes ، وهي وحدات صوتية تلعب دوراً هاماً في توجيه المعنى .

فالنبر (١) Stress بمعنى الضغط على مقطع معين من مقاطع الكلمة ، فيعطي لهذا المقطع المنبور قدراً من التميز أو الوضوح السمعي Sonority الأمر الذي قد يلعب دوراً هاماً في بعض اللغات في التمييز بين الفعل والاسم ، أو يحمل قيمة دلالية كالانفعال أو الاهتمام أو التأكيد .. الخ . هذا الفونيم فوق التركيبي لم يحفل به القدماء من العلماء العرب كما حفلوا بوحدات أخرى تشارك النبر الخاصية الصوتية والوظيفة التركيبية والدلالية .

أما التنغيم (٢) intonation فهو نوع من التلوين الصوتي الذي يكسو به

(١) انظر دراسة الصوت اللغوي ١٨٧ ، ومناهج البحث في اللغة ١٩٤ ، أسس علم اللغة ١٦٠ ، وانظر الدلالة الصوتية ص ١٩٤ – ٢٠٤ .

(٢) دراسة الصوت اللغوي ص ١٩٤ ، وأسس علم اللغة ٩٣ ، ومناهج البحث في اللغة ١٩٨ .

المتحدث نطقه للكلمات أو الجمل أو العبارات فتبدو هابطة النغمة أو عالية أو متوسطة أو طويلة أو قصيرة أو لينة أو خشنة أو رقيقة أو مفخمة .. الخ ، ويكاد يكون تأثيره على المعنى قاسماً مشتركاً بين اللغات المعروفة الأمر الذي يؤثر تأثيراً مباشراً على معنى الوحدة المصحوبة بنغمة سواء أكانت كلمة أم جملة .

وقد التفت العلماء العرب قديما للظاهرة التي يطلق عليها المحدثون التنغيم [١] ، ومنهم علماء التجويد والقراءات ، فهذا السمرقندي [٢] يسجل نظماً بعض ملامح التنغيم قائلاً :

إذا ما لنفي أو لجحد فصوتها ارفعن وللاستفهام مكن وعدلاً
وفي غير اخفض صوتها والذي بما شبيه بمعناه فقسه لتفضلا
كهمزة الاستفهام مع من وأن وإن وأفعل تفضيل وكيف وهل ولا

مثال ذلك ما قلت ، ويرفع الصوت بما يعلم أنها نافية وإذا خفض الصوت يعلم أنها خبرية ، وإذا جعلها بين بين يعلم أنها استفهامية ، وهذه العادة جارية في جميع الكلام وجميع الألسن » [٣] .

ويشير الدركزلي [٣] إلى ما نسميه التنغيم إشارة يفهم من بعضها أنه يدرك قيمته ووظيفته قائلاً : قال بعض المحققين : ينبغي أن يقرأ القرآن على سبع لغات : فما جاء من أسمائه تعالى وصفاته فالتعظيم والتوقير ، وما جاء

(١) انظر الدلالة الصوتية ٢٠٤ – ٢٦٢ .

(٢) هو محمد بن محمود السمرقندي ت ٧٨٠ هـ ، من علماء التجويد ، وله من المؤلفات العقد الفريد من نظم التجويد ، والتجريد في التجويد . انظر : الدراسات الصوتية عن علماء التجويد ص ٦١ه .

(٣) المرجع السابق ص ٦٨ه . والدركزلي : حسن بن إسماعيل بن عبد الله عالم آخر من علماء التجويد ت ١٣٢٧ هـ . له مؤلفات منها : خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة . المرجع السابق نفس الصفحة .

من المفتريات عليه فبالإخفاء والترقيق ، وما جاء على ردها فبالإعلان والتفخيم ، وما جاء في ذكر الجنة فبالشوق والطرب ، وما جاء في ذكر النار والعذاب فبالخوف والرهب ، وما جاء من ذكر الأوامر فبالطاعة والرغبة ، وما جاء من ذكر المناهي فبالإبانة والرهبة »(١) .

وليس من شك في أن الإشارتين السابقتين تعكسان وعياً حقيقياً بأثر التنغيم في توجيه المعنى ، غير أن جهد هؤلاء العلماء في تناول هذه الظاهرة لم يتجاوز هذه التنبيهات التي لا تفصح عن قيمة يستفاد بها ، لأن مصطلح رفع الصوت وخفضه ، أو نغمة تعظيم أو توقير أو إخفاء أو ترقيق أو إعلان أو تفخيم أو شوق وطرب أو خوف ورهب أو طاعة ورغبة أو إبانة ورهبة ، هي مصطلحات لقيم صوتية أدائية يفيدها التنغيم ، لكن ما كيفية ذلك ، فهذا ما نقف أمامه لا يتجاوز سعينا لإدراكه مستوى الاجتهاد الذي قد يصيب ، وقد لا يفلح في إدراك شيء من حقيقة ما قصدوا .

أما أكثر الفونيمات فوق التركيبية التي عني بها القدماء عناية فائقة وبخاصة القرّاء وعلماء التجويد ، سواء على مستوى التنظير أم على مستوى التطبيق فكان الوقف Juncture ، فقد بلغت عنايتهم به أن وصفوه وصفاً علمياً دقيقاً ، وأفردوا له مؤلفات كاملة (٢) ، وتتبعوه موضعاً موضعاً على امتداد النصّ القرآني بعد أن عرّفوا به ، وحددوا أنواعه ، وفصلوا القول في

---

(١) السابق ص ٦٩ه ، وكثير من تلك هو دلالات يفهمها السامع من نغمة الأداء ، أكثر من كونها خصائص للنغمة .

(٢) من أهمها : المكتفى في الوقف والابتداء لأبي عمرو الداني ، وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ، والقطع والائتناف لأبي جعفر النحاس ، ومنار الهدى في الوقف والابتداء للأشموني وغيرها كثير .

أهميته في توجيه المعنى والتأثير عليه . ولم يقف حديثهم عند مستوى التنظير بل تجاوز ذلك مرحلة رصد مواضع الوقف على امتداد النصّ القرآني إلى بيان ميداني لأثر الوقف على المعنى في كل موضع ، وهو عمل تطبيقيّ فريد تجاوز مرحلة تحليل المثال إلى التطبيق الكامل لأثر ظاهرة تنتمي إلى مستوى الأصوات على مستويات لغوية أخرى (مستوى التراكيب ، ومستوى الدلالة) ، ورصد قيمتها على تراكيب نصّ بأكمله هو القرآن الكريم . أهم نصوص العربية قديماً وحديثاً . وطالما سمعنا عن قصور العلماء العرب قديماً في توظيف الدرس الصوتي في خدمة المستويات التالية (الصرف والنحو والدلالة) غير أن ما جاء به القدماء في مجال الحديث عن الوقف يعد عملاً فريداً في بابه على مستوى المنهج ، دون أن يعني اتفاقنا الكامل مع كل ما جاءوا به في هذا الموضوع على المستويين النظري والتطبيقي معاً .

في ضوء ما سبق يبدو تجاهل ما خلفه القدماء في الحديث عن الوقف ، أو البدء من حيث انتهى المحدثون في وصف الظاهرة ، يبدو أمراً مجافياً للمنهجية العلمية ,وتقديم ما جاءوا به ليس من قبيل المفاخرة والمباهاة ، ولا يهدف بحال إلى الدفاع عنهم ، ولا هو الانسحاق أمام محاولتهم دون تقديم عمل أصيل وجديد في الموضوع ، فلا بأس أن نبني عملاً جديداً على قواعد متينة لأجدادنا ، أثبتت لنا صلاحيتها وسلامتها .

مدخل تاريخي :

بدأ الاهتمام بظاهرة الوقف مبكراً ، وارتبطت في نشأتها بكل ما ارتبطت به الظواهر اللغوية من حيث أسباب العناية والاهتمام ، وهي أسباب دينية في المقام الأول ، حيث عني العرب بالنصّ القرآني من حيث لغته

وأدائه ، وتفسيره ، وفهم أحكامه .. الخ .

وقد كان الرسول ﷺ حريصاً وهو ينقل إلى أصحابه النصّ القرآني ، حريصاً على أن يعلمهم قواعد أداء هذا النصّ ، ومنها أوقافه ، وتروي أم سلمه [١] أنه عليه الصلاة والسلام ، كان يقف على رءوس الآي ، مثل (« بسم الله الرحمن الرحيم » ، ثم يقف ، « الحمد لله رب العالمين » ثم يقف ، « الرحمن الرحيم » ثم يقف .) ، وهكذا كان يؤثر القراءة عليه الصلاة والسلام حتى عدت هذه القراءة السنة المستحبة في أداء النص القرآني . وليس يعني هذا أن آخر كل آية وقف ، بل المعوّل عليه في ذلك هو صحة المعنى الأمر الذي يعني أنه لا يلزم الوقف على رءوس الآي إذا أفسد المعنى ، أو فوّت الفرصة لإدراك الفكرة أو أضاع جزءاً منها .

وقد أخذ الصحابة عنه ذلك ، وعرفوا - من بين ما عرفوا - مواضع الوقف الصحيح الذي يخدم المعنـى ويظهره ، وقد حكـى عن ابن عمر قوله : « لقد عشنا برهة من دهرنا ، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على النبي ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها ، وأمرها وزاجرها ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها » وفي كلام ابن عمر كما يقول ابن الجزري : (برهان على أن تعلمه (أي الوقف) إجماع من الصحابة رضي الله عنهم » [٢] .

وحين كان يلاحظ ﷺ أن بعض القرّاء يخطئون موضعاً من مواضع الوقف خطأً يترتب عليه إفساد المعنى ، كان ينبه إلى ذلك ، وقد روى عنه

(١) انظر سنن الترمذي ٢ / ١٥٢ ، وانظر إيضاح الوقف والابتداء ١ / ١٥٨ / ١٥٩ ، والنشر في القراءات العشر ١/٢٢٦ .

(٢) انظر السابق ١ / ٢٢٥ .

قوله : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، اقرأوا ولا حرج ، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ، ولا تختموا ذكر عذاب برحمة » وفي ذلك توجيه كريم إلى ضرورة تعلُّم أحكام الوقف ، فحين نقرأ قوله تعالى : ﴿ يدخل من يشاء في رحمته ﴾ [الإنسان - ٣١] ، لا ينبغي أن نقول (والظالمين) لأنه منقطع مما قبله ؛ « لأنه منصوب بإضمار فعل ، أي ويعذب الظالمين ، أو أوعد الظالمين »[١] .

ويُحكى أن رجلين جاءا إلى رسول الله ﷺ ، فتشهد أحدهما فقال : من يطع الله ورسوله ﷺ فقد رشد ومن يعصهما (ثم وقف) . فقال رسول الله ﷺ : بئس الخطيب أنت فقم ، كان ينبغي أن تصل كلامك ، (ومن يعصهما فقد غوى) أو تقف على (رسوله فقد رشد)[٢] .

ويروى عن معاوية قوله : « إني شهدت رسول الله ﷺ أملى على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه كتاباً ، وكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المصرم صريمته » ثم يروى فيقول : « وقال الأحنف بن قيس : ما رأيت رجلاً تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام ، ولا عرف حدوده إلا عمرو بن العاص رضي الله عنه ، كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام ، وأعطى حق المقام ، وغاص في استخراج المعنى بألطف مخرج ، حتى كان يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين تبعيته من الألفاظ »[٣] .

وقد سئل عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن قول الله (عز وجل) :

(١) القطع والائتناف ٨٩ .

(٢) السابق ص ٨٨ .

(٣) انظر الصناعتين ٤٣٨ ، ومقدمة إيضاح الوقف ٢٣ / ٢٤ .

﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ [النساء - ١٤١] . وقد رأينا الكافر يقتل المؤمن . فقال عليّ (رضي الله عنه) : اقرأ ما قبلها : ﴿ فالله يحكم بينكم يوم القيامة ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾ فلما وصل الكلام بأن المعنى وعرف المشكل [١] .

ثم تابع الصحابة ذلك ، وحرص التابعون أن يسجلوا تلك المواضع التي عليهم أن يقفوا عليها عند قراءة القرآن ، كما تجلى هذا الحرص في عمل القرّاء السبعة . فنافع كان يراعي محاسن الوقف والابتداء بحسب المعنى ، على حين كان ابن كثير يقف حيث ينقطع نفسه ، أما أبو عمرو فكان يتعمد الوقوف على رءوس الآي ، وروى عنه أنه كان يراعي حسن الابتداء ، كما روي عنه أنه كان يراعي حسن الوقوف . أما عاصم والكسائي ، فكانا يطلبان الوقف من حيث يتم الكلام ، أما حمزة فكابن كثير يقف حيث ينقطع النفس[٢] .

مما سبق يتبين أن العناية بالوقف بدأت مبكرة ، وأنها جاءت ابتداءً توقيفية عن رسول الله ﷺ من منطلق الحرص على سلامة المعنى . ثم تبعه في ذلك الصحابة والتابعون والقرّاء السبعة .

الوقف عند علماء القراءات :

حين أسس لعدد من العلوم التي استهدفت خدمة النصّ القرآني وظهر العلماء المتخصصون ، وجدنا لقراءة القرآن علماً له رجاله الذين يعنون

---

(١) السابق ٩٣ .

(٢) انظر النشر ١ / ٢٢٨ .

بتحقيق مسائل هذا العلم وتقعيدها ، ومن بين المسائل التي عولجت معالجة دقيقة قضية الوقف الابتداء .

ويفرق العلماء بين أمرين في معالجة هذه المسألة :

الأمر الأول : كيفية الوقوف وكيفية الابتداء ، حيث حددوا كيفيّات الوقوف أو ما يوقف به في تسعة أشكال هي :

الوقف بالسكون ، والروم ، والإشمام ، والإبدال ، والنقل ، والإدغام والحذف والإثبات والإلحاق »[1] ، ويتعلق بما يبتدأ به حديثهم عن همزة الوصل .

أما طريقة كتابة ما يوقف عليه فيتأثر بالوقف وفقاً لخط المصحف العثماني ، وتكون النتيجة المترتبة على الوقف أن يخالف المكتوبُ المنطوقَ بالفعل إما بزيادة أو حذف أو إبدال أو فصل أو وصل[2] .

والبحث الذي بين أيدينا لا يعني بهذا الأمر فلا يدخل فيه أمر ما يوقف به ، ولا بكيف يوقف وكيف يبتدأ .

الأمر الثاني : الذي عالجه العلماء تحت عنوان الوقف والابتداء هو : المواضع التي يوقف عليها ، والمواضع التي يبتدأ بها ، وهذا الأمر هو محور هذه الدراسة الأساسيّ . في ضوء ما سبق يجمل أن يحدد البحث مفهوم هذا الوقف .

---

(١) انظر السابق ٢ / ١٢٠ وما بعدها ، وانظر عرضاً لما يوقف به ورأي لأستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس في ذلك . من أسرار اللغة ص ٢٢٦ وما بعدها .

(٢) انظر النشر ٢ / ١٢٨ وما بعدها .

مفهوم الوقف :

الوقف لغة : الكفّ عن الفعل والقول . واصطلاحاً : قطع الصوت آخر الكلمة زمناً ما . أو هو : قطع الكلمة عما بعدها . ويفرق علماء القراءات هنا بين ثلاثة مصطلحات متقاربة هي : القطع ، والوقف ، والسكت .

وعلى الرغم من أنها جميعاً تدور حول معنى قطع الصوت زمناً ما ، فإن الفروق بينها تبدو في أمرين فنيين : الأول : مدة القطع ، والثاني القصد منه .

وهذا بيان بما يقصدونه من هذه المصطلحات :

١- القطع : هو كفّ تام عن القراءة ، فهو كالانتهاء ، والقارئ به كالمعرض عن القراءة والمنتقل منها إلى حالة أخرى سوى القراءة » ، فمن حيث الزمن مع القطع فهو ممتد بعده بلا قيد ؛ لأن القارئ يقطع القراءة ، ويتوقف تماماً ، كالذي يقطع على حزب أو ورد ، أو عشر ، أو في ركعة ثم يركع أو نحو ذلك ، مما يؤذن بانقضاء القراءة ، والانتقال منها إلى حالة أخرى ، وإذا أريد استئناف القراءة مرة أخرى اقتضى ذلك الاستعاذة ، ومنه ندرك أن قصد القارئ من القطع هو التوقف وعدم الاستمرار في القراءة .

أما الوقف : فهو عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه القارئ عادة بنية استئناف القراءة - فمن حيث الزمن يستغرق الوقف وقتاً يسمح بالتنفس ، ويكون ذلك على رءوس الآي أو أوسطها ، ولا يكون في وسط الكلمة ، ولا فيما اتصل رسماً من الكلمات . ومن حيث القصد ، فإن القارئ يقف لا بنيّة الإعراض وعدم الاستمرار في القراءة ، بل بنية الاستراحة التي تسمح له بالتنفس ، والعودة مباشرة لاستئناف القراءة .

كأن يقرأ القارئ قوله تعالى : ﴿ والضحى والليل إذا سجى ﴾ ثم يقف ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ ثم يقف ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ ثم يقف . وهكذا إلى آخر ما يريد قراءته .

أما السكت : فهو عبارة عن قطع الصوت زمناً دون زمن الوقف عادة من غير تنفس . فأول فرق إذن بين الوقف والسكت هو في مدة القطع ، فهو في السكت أقل مدة من الوقف ، ومن أجل هذا أطلق عليه : وقيفة ، وقد يسمى وقفة يسيرة ، أو سكتة لطيفة [١] . أما الفرق الثاني فهو التنفس مع الوقف وعدم التنفس مع السكت ، وهو فرق تعارف عليه جمهور القراء ، ولكن دون إجماع على ذلك . وأخيراً يتفق الوقف والسكت في خاصية واحدة هي نية استئناف القراءة خلافاً للقطع الذي يقصد منه التوقف التام مع عدم نية الاستئناف .

والوقف بالتحديد السابق ، من دون المصطلحين الآخرين ، هو وحدة المقصود الذي ينصَب عليه هذا البحث وتستهدفه تلك الدراسة .

وليس الوقف بالتحديد السابق إجراءً يقوم به القارئ كما يحلو له ، بل هو عمل يخضع لضوابط وقواعد دقيقة ، وله أحكامه الصارمة التي حددها علماء القراءات ، بأن بينوا مواضع الوقف وأنواعه وقيمته ، وهو مرتبط عندهم أساساً بالمعنى ، فالمعوّل عليه عندهم في إجازة الوقف وعدم إجازته هو سلامة المعنى أو فساده .

---

(١) راجع النشر ١ / ٢٣٩ ، ومنار الهدى ص ٨ ، والمقصد لتلخيص ما في المرشد ص ٤ ، والحواشي الأزهرية ص ٤٠ ، ٤١ ، والمنح الفكرية ص ٥٧ .

الفصل الثاني

أنواع الوقف والابتداء

الفصل الثاني :

أنواع الوقف والابتداء

إن حديث علماء الوقف والابتداء عن أنواعهما يبدو عليه الاختلاف أكثر مما يشعرنا بوجود قدر من الاتفاق ، وقد رجعت إلى أمهات الكتب التي عنيت بهذا الموضوع ، وقمت بتتبع التقسيمات الكلية التي يقتربون من الاتفاق عليها ، ونحيت جانباً تلك التي يحتدم حولها الخلاف ، فوجدت أنهم جميعاً يفرقون بين قسمين من الوقف .

الأول : الوقف الاختياري ، وهو وقف يجوز للقارئ أن يقف حيث حددوا ، ويجوز تبعاً لذلك ألا يقف .

والثاني : الوقف الاضطراري ، وهو وقف لا يجوز للقارئ أن يقف في موضع من المواضع التي منعوا الوقف عليها اضطرارياً إلا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه ؛ لأنه إما ألا يكون هناك فائدة من الوقف أو لأن المعنى يفسد به .

والأنواع التي تندرج تحت هذين القسمين حولها خلاف كثير « وأكثر ما ذكر الناس من أقسامه غير منضبط ولا منحصر »[1] فبعضهم يجعل الوقف نوعين فقط : تام وقبيح ، وبعضهم يجعله ثلاثة : تام مختار ، وكاف جائز ، وقبيح متروك . وبعضهم يجعله أربعة أقسام : تام مختار ، وكاف جائز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك . وبعضهم جعله خمسة أقسام : لازم ، ومطلق ، وجائز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك .

وبعضهم جعله خمسة أقسام : لازم ، ومطلق ، وجائز ، ومجوّز لوجه ،

---

(١) النشر / ٢٢٥ .

ومرخص ضرورة ، ومنهم من جعله ثمانية أقسام : تام وشبيه ، وناقص وشبيه ، وحسن وشبيه ، وقبيح وشبيه ، وآخرون يجعلون للأقسام الثمانية الأخيرة مسميات أخرى هي : تام ، حسن ، كاف ، صالح ، مفهوم ، جائز ، بيان ، قبيح [١] .

وليست التقسيمات السابقة على درجة واحدة من الشيوع بين العلماء ، وليست كذلك على مستوى واحد من القبول ، بل منها المشهور الذي اعتد به العلماء ، ومنها الذي لم يتجاوز تصنيف صاحبه ، ولم يجد إلى علم العلماء ومصنفاتهم سبيلاً .

ويكاد ينحصر خلاف المحققين من العلماء في هذا الفن حول تقسيمين :

التقسيم الأول : أنواع الوقف أربعة : تام ، كاف ، حسن ، قبيح . وهذا هو أشهر التقسيمات ، وأكثرها قبولاً لدى جمهرة العلماء والقرّاء .

التقسيم الثاني : أنواع الوقف ثلاثة : تام ، حسن ، قبيح ، وهو تقسيم أقل من السابق شهرة واستحساناً بين الدارسين .

وسوف أقدم تحديداً لكل نوع ثم أبدي رأيي في التقسيم الذي أرتضيه معللاً لاختياري ، وذلك نظراً لما يترتب على ذلك من نتائج في عملية التحليل اللغوي للمادة ، وتوجيه المعنى تبعاً لذلك .

أما عن التقسيم الأول ، أو التقسيم الرباعي لأنواع الوقف ، فهذا بيان بأنواعه :

ا - الوقف التام : ما يحسن الوقف عليه ، والابتداء بما بعده ، ولا يتصل ما بعده بما قبله لا في اللفظ ولا في المعنى [٢] .

(١) راجع في هذا منار الهدى ص ٨ ، والمقصد لتلخيص ما في المرشد ص ٥ ، ٦ .

(٢) انظر : المكتفى ١٤٠ ، ومنار الهدى ٩ ، ١٠ ، والنشر ٢٢٦ .

ومن أمثلته ما يلي :

١- قول الحق سبحانه : ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ [البقرة ٥] ، والابتداء بقوله ﴿ إن الذين كفروا ﴾ [البقرة ٦] .

٢- ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه : ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾ [البقرة ٩] والابتداء بقوله : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة ﴾ [البقرة ٣٠] .

٣- ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وأنهم إليه راجعون ﴾ [البقرة ٤٦] والابتداء بقوله : ﴿ يا بني إسرائيل ﴾ [البقرة ٤٧] .

وقد حدد العلماء علامات لمعرفة الوقف التام منها :

أن يكون عند انتهاء قصة ، وآخر كل سورة ، والابتداء بالاستفهام ملفوظاً أو مقدراً ، أو بيا النداء غالباً ، أو بفعل الأمر ، أو بلام القسم ، أو الابتداء بالشرط ، أو الفصل بين آية عذاب وآية رحمة ، أو العدول عن الإخبار إلى الحكاية ، أو الفصل بين الصنفين المتضادين ، أو تناهي الاستفهام ، أو تناهي القوم ، أو الابتداء بالنفي والنهي (١) . وعندهم جميعاً أن الوقف قد يكون تاماً على تفسير وإعراب وقراءة ، غير تام على آخر ، وهو ما سيظهر جلياً عند تحليل الأمثلة فيما بعد .

٢- **الوقف الكافي** : وهو الذي يحسن الوقف عليه ، والابتداء بما بعده ، غير أن الذي بعده متعلق بما قبله من جهة المعنى دون اللفظ ، فهو منقطع لفظاً متصل معنى ، وسمي كافياً لاكتفائه ، واستغنائه عما بعده ، واستغناء ما بعده عنه ، بأن لا يكون مقيداً له (٢) .

(١) المكتفي ١٤٠ ، ومنار الهدى ١٠ / ١١ .

(٢) انظر المكتفي ص ١٤٢ ، ومنار الهدى ص ١١ ، والنشر ٢٢٦ / ٢٢٨ .

ومن أمثلة الوقف الكافي ما يلي :

١- قول الحق سبحانه : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ﴾ [النساء ٢٣] والابتداء بما بعد ذلك في الآية كلها ؛ لأن فيه من يشاركون الأمهات في الحرمة .

٢- ومنه أيضاً قول الحق سبحانه : ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات ﴾ [المائدة ٥] ، والابتداء بما بعد ذلك ؛ لأنه كله معطوف يحمل بعض التفصيل لما أحل .

٣- ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ [الانفطار ١] والابتداء بما بعد ذلك إذ كله معطوف يشارك ما قبله الحكم ، وهو الشرط والظرفية .

وكما حدد العلماء علامات يستدل بها على الوقف التام ، رصدوا كذلك علامات يستدل بها على الوقف الكافي ، ومنها : أن يكون ما بعده مبتدأ أو فعلاً مستأنفاً أو مفعولاً لفعل محذوف نحو وعد الله ، وسنة الله ، أو يكون ما بعده نفياً أو إن المكسورة أو استفهاماً ، أو بل ، أو ألا المخففة ، أو السين أو سوف .

٣- الوقف الحسن : هو الذي يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده ؛ لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً (١) ومن أمثلته ما يلي :

(١) انظر المكتفى ١٤٥ ، والمقصد ص ٢٧ ، ومنار الهدى ص ١٠ ، وقد جاء في منار الهدى أن الوقف الحسن « لا يتصل ما بعده بما قبله معنىً ، ويتصل لفظاً » وهو كلام واضح الخلل إذ يستحيل أن يتصل الكلام لفظاً ولا يتصل معنى بحال ، لأن المقصود بالتعلق اللفظي التعلق من جهة الإعراب كأن يكون معطوفاً أو صفة أو بدلاً أو حالاً أو توكيداً أو نحو ذلك . ويبدو أن الأشموني فهم كلام ابن الجزري خطأ حين ذكر الأخير في منظومته الشهيرة :

فالتام فالكافي ولفظاً فامنعن   إلا رءوس الآي جوِّزْ فالحسن

فقد تصور أن قوله لفظاً يعني أن يتعلق ما بعد الوقف لفظاً فقط دون المعنى على حين أنه يلزم من تعلق اللفظ أن يتعلق معه المعنى بالضرورة ، انظر حواشي الشيخ خالد ص ٤٦ ، وانظر اللمع الفكرية ص ٥٨ .

١- قول الحق سبحانه : (الحمد لله رب العالمين) [الفاتحة ١] ثم تقف .

٢- قول الحق سبحانه : (الرحمن الرحيم) [الفاتحة ٢] ثم تقف .

٣- قول الحق سبحانه : (مالك يوم الدين) [الفاتحة ٣] ثم تقف .

فهذه أوقاف حسنة لأن المراد مفهوم ، « ولكن الابتداء بقوله : (رب العالمين) أو (الرحمن الرحيم) أو (مالك يوم الدين) لا يحسن ؛ لأن ذلك مجرور والابتداء بالمجرور قبيح لأنه تابع لما قبله »(١) .

ومن علامات الوقف الحسن ، أن يكون فاصلاً بين كلامين من متكلمين أو من متكلم واحد مثل : ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ وقف حسن ﴿ لله الواحد القهار ﴾ ومثل : ﴿ إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم ﴾ وقف حسن ﴿ رسول الله ﴾ وأكثر ما يقع بين المعطوفين ، وعلى رءوس الآي ، وما بعده مستثنىً أو بدل أو نعت أو حال أو توكيد لما قبله أو نحو ذلك من صور التعلق اللفظي التي سيشير إليها البحث في مبحث نظرية التلازم في الفصل الرابع .

٤- **الوقف القبيح** : هو ما يقع في موضع اشتد تعلق ما بعده بما قبله في اللفظ والمعنى جميعاً ، ويترتب عليه : إما ألا يُفهم المراد من الكلام ، وهذا هو القبيح ، أو يفسد المعنى بسبب هذا الوقف ، وهذا هو الأقبح .

ومن أمثلة القبيح :

- أن يقرأ القارئ فيقول : (بسم ، ثم يقف حتى يصل إلى (مالك) ثم يقف ، إلى أن يصل إلى (رب) ثم يقف فاصلاً بذلك بين المضاف والمضاف إليه .

---

(١) انظر المكتفي ١٤٥ .

ومن أمثلة الأقبح مما سبق :

- الوقف على قول الحق سبحانه : (إن الله لا يستحي) ثم يقف .

- أو الوقف على قول الحق سبحانه : (فويل للمصلين) ثم يقف .

- أو الوقف على قول الحق سبحانه : (ولا تقربوا الصلاة) ثم يقف .

ومما يوهم بغير المقصود الوقف على الكلام المنفصل الخارج عن حكم ما وصل به مثل قول الحق سبحانه : ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى ﴾ ثم يقف . وهو ما يوهم أن الموتى يستجيبون .

- ومنه قراءة قول الحق سبحانه : ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾ ثم يقف . وهو ما يوهم أن الذين كفروا وكذبوا يدخلون ضمن من وعدهم الله بالمغفرة ويشاركونهم الجزاء بالأجر العظيم .

- ومن ذلك أيضاً قراءة قوله تعالى : ﴿ للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له ﴾ ثم يقف وهو ما يوهم أن الذين لم يستجيبوا لهم أيضاً جزاء (الحسنى) .

- ومن ذلك أيضاً قراءة قوله تعالى : ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل ﴾ ثم يقف ، وهو ما يوهم أن من يضلل مهتد أيضاً .

- ومن ذلك أيضاً قراءة قوله تعالى : ﴿ فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا ﴾ ثم يقف ، وهو ما يوهم أن من تولوا مهتدون .

- ومن ذلك أخيراً قراءة قول الحق : ﴿ فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني ﴾

ثم يقف بما يوهم أن العاصي كالمطيع من حيث علاقته بالله والرسول .

فذلك كله من الوقف القبيح لأنه جليّ الفساد ، حيث يجعل القارئ اللاحق مشاركاً السابق في الحكم ، علماً بأن اللاحق خارج عن حكم الأول من جهة المعنى [١] .

مما سبق يتبين أن ثمة تقارباً بين الوقف التام والكافي ، من حيث جواز الابتداء بما بعدهما ، على حين يتقارب الوقف الحسن والقبيح ، من حيث عدم جواز الابتداء بما بعدهما .

وعلى حين يستقل التام عن الكافي من حيث انعدام التعلق لفظاً ومعنىً بين ما قبل الوقف وما بعده في التام ، على حين نجد تعلقاً من جهة المعنى فقط في الكافي .

كما يلاحظ أن التعلق اللفظي والمعنوي بين ما قبل الوقف وما بعده موجودان في الوقفين الحسن والقبيح ، وينحصر الفرق بينهما في : إذا فهم المراد مع الوقف الذي تعلق ما قبله بما بعده لفظاً ومعنى ، فهو حسن ، وإذا لم يفهم المراد مع الوقف الذي تعلق ما قبله بما بعده لفظاً ومعنى أو فسد المعنى فهو الوقف القبيح .

والتقسيم الرباعي الذي سبق طرحه هو أشهر التقسيمات المتداولة لأنواع الوقف بين المحققين من علماء القراءات .

أما التقسيم الثلاثي ، وهو كما سبق القول أقل شهرة من السابق فهو :

١- الوقف التام : وهو الذي يحسن الوقف عليه ، والابتداء بما بعده ، ولا

---

(١) انظر المكتفى ١٤٨ ، ومنار الهدى ١٣ .

يكون بعده ما يتعلق به كقوله تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ [البقرة ٥] فهذا وقف تام ، لأنه يحسن أن تقف على (المفلحين) ويحسن الابتداء بقوله : ﴿ إن الذين كفروا ...﴾ [البقرة ٦] .

٢- الوقف الحسن : هو الذي يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده ، كقوله تعالى : (الحمد لله) الوقف على هذا حسن لأنك إذا قلت (الحمد لله) عُقل عنك ما أردت ، وليس بتام لأنك إذا ابتدأت (رب العالمين) [الفاتحة ٢] قبُح الابتداء بالمخفوض .

٣- الوقف القبيح : وهو الذي ليس بتام ولا حسن كقوله تعالى : (بسم الله) الوقف على (بسم) قبيح ؛ لأنه لا يعلم إلى أي شيء أضفته ، وكذلك الوقف على (مالك) والابتداء (يوم الدين) قبيح . ويقاس على ذلك كل ما يشاكله مما لا يفهم منه المراد ، أو يفسد به المعنى لأنه يوهم بغير المقصود [١] .

تعليق على التقسيمين الخالفين :

من متابعة أنواع الوقف عند كل فريق من الفريقين وقيود هذه الأنواع التي تميزها من سواها نجد أن ثمة عدداً من الملاحظات التي يجب تسجيلها وذلك على النحو التالي :

١- أن أنصار التقسيم الرباعي قد ميزوا الوقف التام بأنه (الوقف الذي يمكن الابتداء بما بعده ، ولا يتعلق ما قبله بما بعده لا في اللفظ ولا في المعنى) [٢] .

---

(١) انظر إيضاح الوقف والابتداء ١٤٩ / ١٥٠ .

(٢) راجع المكتفي ١٤٠ ، والنشر ٢٢٦ ، ومنار الهدى ٩ / ١٠ والمقصد ٦ .

وعند تقليب أمثلتهم وتدقيق النظر في انطباق هذه القيود عليها يتبين أن كثيراً منها لا تستوفي هذه الشروط الصارمة .

ففي أكثر هذه الأمثلة يتعلق ما قبل الوقف بما بعده في المعنى ، وتلك بعض أمثلتهم التي ساقوها للتمثيل لما سموه بالوقف التام .

المثال الأول : في قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ [النمل ٣٤] هذا وقف تام عندهم ؛ لأنه آخر كلام بلقيس ، وأتم منه ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ ، وهو كلام يتعلق لا مشاحة بما قبله في المعنى ، إذ هو مسوق لبيان أن الفعل السابق هو طبع معروف عنهم ، وجبلة معهودة فيهم ، وفعل مكرور منهم .

المثال الثاني : في قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ﴾ [الفرقان ٢٩] هذا وقف تام عندهم ، لأنه آخر كلام الظالم أبيّ بن خلف ، وأتم منه : ﴿ وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ هذه نتيجة حتمية كانت غائبة عن أبيّ ، ولكنها العبرة المستهدفة التي سيق من أجلها الكلام ، ليعتبر اللاحق بتجربة السابق ، بحيث يدرك أن فعل أبيّ نمط من السلوك ، ينطبق عليه القانون العام بصرف النظر عن المكان والزمان والشخوص ، يغوى الشيطان فيسقط بعض الناس في الغواية ، ثم يخذلهم الغاوي ، شأنه أبداً مع ضعاف النفوس ، وهي قصة (قصة أبيّ) نموذج لكل قصة مماثلة ، ويلاحظ هنا الصلة الدلالية القوية بين ما قبل الوقف وما بعده ، فمرفوع أضل (قبل الوقف) هو نفسه في المعنى مرفوع (خذولاً) بعد الوقف وهو الشيطان في الحالتين ، وهو أمر يؤكد الصلة الدلالية الحميمة بين ماقبل الوقف وما بعده .

والمثال الثالث : هو قول الحق جل شأنه : ﴿ وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل ﴾ [الصافات ١٣٧ / ١٣٨] فهذا عندهم وقف تام ، لأن بالليل معطوف على المعنى ، أي تمرون عليهم بالصبح وبالليل . وأتم منه (أفلا تعقلون) لأنه آخر القصة ، وهو ختام للتنبية بقصد التدبر من المصير المحتوم الذي لا يغيب عن العقلاء ، وهو ختام متعلق قطعاً بما أسس عليه وإلا فأي شيء يدعوهم لعقله ؟ فليس المعنى في (أفلا تعقلون) منفصلاً عما قبله كما هو واضح .

وقد تنبه إلى ما أذهب إليه من أن كثيراً من التام عند أنصار التقسيم الرباعي يكون كالكافي من حيث تعلق ما قبل الوقف بما بعده في المعنى . تنبه إلى ذلك أبو عمرو الداني أحد علماء القراءات والوقف والابتداء المبرزين ، فها هو يقول نصاً : « وقد يكون التام أحياناً في درجة الكافي من جهة تعلق الكلام من طريق المعنى لا من طريق اللفظ ، وذلك نحو قوله : ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ﴾ [الكهف ٥] هذا تمام ثم تبتدئ بقوله : ﴿ ما لهم به من علم ﴾ [نفس الآية] لأن ما بعده مستغن عنه .

وكذلك الوقف على قوله : ﴿ ولا لآبائهم ﴾ [الكهف ٥] تمام أيضاً ، ثم تبتدئ بقوله : ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾ [نفس الآية] . وهي مقالتهم ﴿ اتخذ الله ولداً ﴾ [الكهف ٥] .

وكذلك ما أشبهه مما يتم الوقف عليه بإجماع من أهل التأويل ، وأصحاب التمام لانقضاء الكلام عنده واستغناء ما بعده عنه ، وما بعده منه أو من سببه من جهة المعنى فهو بذلك في درجة الكافي وبالله التوفيق »[1] .

---

(١) انظر المكتفي ١٤٢ .

وهنا يسقط الفرق الجوهري بين كل من التام من جانب والكافي من جانب آخر ، ذلك الفرق الذي وضعه أنصار التقسيم الرباعي . هذا القيد هو وجود التعلق بين ما قبل الوقف وما بعده في المعنى مع الكافي وعدم وجوده مع التام . إذ إن أكثر أمثلة التام عندهم يمكن أن نلمح الصلة الدلالية بين ما قبل الوقف وما بعده .

والرأي عندي أن نبقى على القيد الأول من التعريف ، وهو أن التام والكافي يشتركان في جواز الوقف عليهما والابتداء بما بعدهما ، وهو قيد يميزهما ، من الوقفين الحسن والقبيح ثم نبحث عن ملمح فارق بين كل من التام والكافي . وقد تبين من استقراء نماذج التام ، والكافي عندهم أنهم يفرقون بين درجات من التمام ودرجات من الكفاية على النحو التالي :

كاف ← أكفى ← تام ← أتم

وهي درجات تعكس قدراً من التعلق الدلالي . بحيث تبدأ أقوى درجات التعلق المعنوي فقط بين ما قبل الوقف وما بعده مع الوقف الكافي ، وتقل درجة التعلق الدلالي فيكون الوقف أكفى ، ثم تقل إلى أقل درجات التعلق الدلالي مع الوقف التام ، ثم تنقطع الصلة الدلالية تماماً بين ما قبل الوقف وما بعده في الوقف الأتم أو تكاد أن تكون كذلك .

وتلك أمثلة توضح ذلك :

فمن الوقف الكافي قوله تعالى : ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ .

وأكفى منه قوله تعالى : ﴿ فزادهم الله مرضاً ﴾ .

وأكفى منهما قوله تعالى : ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ .

تلك أوقاف كافية متدرجة في درجة التعلق الدلالي من الأكثر تعلقاً إلى الأقل تعلقاً .

وقد سبق تقديم ثلاثة أمثلة للوقف التام والأتم من قبل ، وفيها تبين أن التام فيه بعض التعلق المعنوي على حين تنقطع الصلة الدلالية أو تكاد مع الوقف الأتم .

مما سبق يمكن القول : إن تعريف الوقف التام عند أنصار التقسيم الرباعي لا ينطبق إلا على الوقف الأتم فقط (١) ، أما بقية الأوقاف : كاف ، أكفى ، تام فكلها مما ينطبق عليه التعريف الخاص بالوقف الكافي ، فالقضية في النهاية ليست في التعريف ، وإنما في التطبيق ، فحين نقلّب كتب الوقف والابتداء سنجد التعريفات في كثير من الأحيان محكمة ، والتطبيقات مضطربة ، وربما قيل إن هذا راجع لاعتبارات أخرى ، وقد سبق نقل قولهم المحكم إن الوقف قد يكون تاماً على إعراب وتفسير وقراءة ، غير تام على أخرى ، وهو حكم صائب تماماً ، ولكننا بتضييق مفهوم (التام) لينحصر فيما يقابل عندهم الأتم ، وتوسيع دائرة الكافي ليشمل الكافي والأكفى والتام (الذي فيه تعلق) يمكن إلى حدٍ غير قليل تحاشي كثير من الاضطراب الظاهر في الحكم على الوقف بالتمام أو الكفاية .

٢- أما عن التقسيم الثلاثي إلى تام وحسن قبيح ، فقد قيد التام بعدم وجوه

---

(١) ومن المواضع التي يظهر فيها الأتم بالمفهوم السابق . آخر كل قصة ، وما قبل أولها وآخر كل سورة ، والأحزاب والأنصاف والأرباع ، والأثمان والأسباع والأتساع والأعشار والأخماس ، وقبل ياء النداء ، وفعل الأمر ، والقسم ولامه دون القول ، و (والله) بعد رأس كل آية ، والشرط ما لم يتقيد جوابه ، و (كان الله) ، و (ذلك) و (لولا) غالبة تام ما لم يتقدمهن قسم أو قول أو ما في معناه ، انظر البرهان ١ / ٣٥١ .

تعلق بين ما قبل الوقف وما بعده ، وقد تأكد لنا مما سبق أن كثيراً من التام فيه تعلق .

ولكن يجمل أن نقدم مثالاً يدعم عدم انطباق قيد تعريف أنصار الثلاثي للوقف التام على الأمثلة التي قدموها له . فهذا ابن الأنباري صاحب التقسيم نفسه يقول :

« والوقف على ﴿ أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة ١٣٥] تام ، وكذلك الوقف على ﴿ وما كان من المشركين ﴾ ، والوقف على قوله ﴿ وهو السميع العليم ﴾ [١٣٧] تام (١) .

وهذا كلام أبي جعفر النحاس في القطع على هذه الأوقاف . ﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ﴾ [١٣٥] قال الأخفش : وهذا التمام ، قال أبو جعفر : هذا على مذهب سيبويه ليس بتمام ، وله فيه قول حسن ، وذلك أنه لما قيل لهم : كونوا هوداً أو نصارى ، فكأنه قيل : اتبعوا اليهودية أو النصرانية ، فقالوا : بل نتبع ملة إبراهيم ، فبعض الكلام مربوط ببعض ، فلهذا لم يكن ما قبله تماماً ، ومذهب الكسائي : أن التقدير : بل يكون أهل ملة إبراهيم ، مثل : ﴿ واسأل القرية ﴾ فعلى هذا أيضاً لا يكون ما قبله تماماً ، وقال أبو عبيده : ﴿ ملة إبراهيم ﴾ [١٣٥] إغراء فعلى هذا القول يكون الوقف على ما قبله كافياً « حنيفاً » [١٣٥] قطع كاف ، ﴿ وما كان من المشركين ﴾ [١٣٥] وقف حسن ، ثم الوقف ونحن له مسلمون (٢) .

فالوقف على (تهتدوا) ليس تاماً كما زعم ابن الأنباري بدليل ما ذهب

(١) إيضاح الوقف ١ / ٥٣٤ ، والمكتفي ١٧٦ .

(٢) انظر القطع والائتناف ١٦٥ ، وانظر الكتاب ١ / ١٣٠ .

إليه آخرون من كونه كافياً أو حسناً ، وفيه تعلق بين ما قبله وما بعده كما ذهب إلى ذلك سيبويه والكسائي وأبو عبيدة ، وكذلك الوقف (من المشركين) ليس تاماً كذلك كما في القطع . أما الوقف على ﴿ وهو السميع العليم ﴾ فهو تام على معنى ، غير تام على معنى آخر (١) .

مما سبق يتبين أن أنصار التقسيم الثلاثي قد جعلوا التام والكافي معاً تحت مصطلح التام ، وقيدوه بعدم التعلق ، وهو قيد يدحضه واقع الأمثلة التي قدموها . إذ عدم وجود التعلق قيد صعب لا يكاد ينطبق إلا على أمثلة قليلة في كل النصّ القرآني .

٣- أما الملاحظة الأخيرة في هذا التعليق فهو في تلك العلامات التي وضعت للوقف التام والكافي والحسن والقبيح ، وهي علامات مضللة وغير دقيقة ، ويمكن تقديم مئات الأمثلة التي تدحض ذلك ، فإذا كان علماء الوقف يختلفون كثيراً حول موضع بعينه ما بين تام ، وكاف ، وحسن ، وما أندر ما اتفقوا بإجماع على نوع الوقف في موضع معين ، فكيف يتأتى لنا أن نضع علامات محددة لما يلي الوقف من وحدات لغوية ؟ فما يمكن أن يأتي من وحدات تالياً للوقف التام يمكن أن يأتي أيضاً مع الكافي ، ويمكن أن يأتي أغلب ما يلي الكافي بعد الوقف الحسن ، فالمبتدأ يمكن أن يلي الوقف التام ، ويمكن أن يلي الوقف الكافي ، كما يمكن أن يكون ما قبله وقف حسن إذا كانت الجملة متعلقة بما قبلها ، خبراً مثلاً أو نعتاً ، وما يقال عن المبتدأ يمكن أن يقال على علامات كثيرة مما أوردوه مثل إن المكسورة ، وياء النداء .. الخ . ومن الدقة العلمية عدم وضع

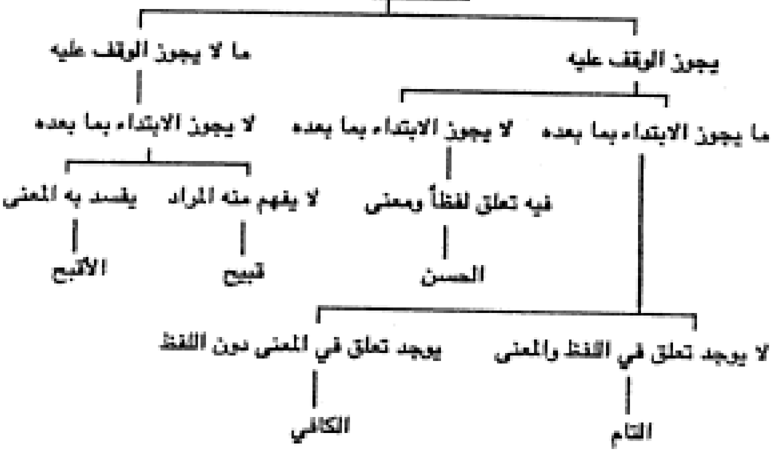
---

(١) انظر القطع ١٧٧ ، وانظر مشكل الإعراب ١ / ٧٣ .

علامات شكلية لتمييز أنواع الوقف ، والاقتصار على الوظائف النحوية والعلاقات التي تربط الوحدات من جانب ، والصلات الدلالية التي لها أبلغ الأثر في الحكم بنوع الوقف وجوداً وعدماً . وإن كثر وجود أنواع معينة من الوظائف أو الوحدات بعد نوع من أنواع الوقف ، فذلك أمر ترجيحي غير ثابت ، لارتباط حكم الوقف ونوعه بقرائن غير مقالية في الغالب الأعم حيث يختلف الوقف من تفسير وإعراب وقراءة إلى آخر كما سبق القول .

وأخيراً يمكن إعادة تصور أنواع الوقف والفروق بينها كما يرتضيها البحث ، مع التسليم بأن هذه الفروق على المستوى النظري صحيحة ، ولكن تطبيق هذه الفروق على النص القرآني ، كما جاء ذلك عند علماء الوقف فيه نظر لعدم دقة التطبيق أحياناً ، أو لاختلاف في توجيه العلاقات والوظائف وتأويل النص وقراءته من عالم لآخر في أكثر الأحايين .

أنواع الوقف



وهذا جدول بالفروق المميزة لكل نوع

الخاصية المميزة	نوع الوقف: تام	كاف	حسن	قبيح
يجوز الوقف عليه .	+	+	+	−
يجوز الابتداء بعده .	+	+	−	−
لا يتعلق ما بعده بما قبله ، لا في اللفظ ولا في المعنى .	+	−	−	−
لا يتعلق ما بعده بما قبله في اللفظ فقط دون المعنى .	−	+	−	−
يجوز الوقف عليه ، ويتعلق ما بعده بما قبله في اللفظ والمعنى .	−	−	+	−
لا يجوز الوقف عليه ، ويتعلق ما بعده بما قبله في اللفظ والمعنى	−	−	−	+

وقف البيان :

ألحق علماء الوقف نوعاً آخر من الوقف بأنواع الوقف الأخرى التي سبق تناولها ، وأعني به وقف البيان ، وقد يسمى اللازم ، وقد يسمى الواجب .

وليس وقف البيان قسيماً لأربعة الأنواع السابقة ، بل متداخل معها ، إذ هو وقف جئ به لبيان معنى لا يفهم بدونه ، وهو مستحب لأنه يدفع لبساً أو يزيل وهماً قد يقع فيه السامع . « ويجئ هذا في قسمي التام والكافي ، وربما يجئ في الحسن »[1] .

فهو وقف لا يتحدد من خلال العلاقات النحوية بين الوحدات وجوداً وعدماً ، وما يستتبعه من وجود علاقات دلالية أو عدم وجودها ، بل هو وقف لدفع توهم أو لبس قد ينشأ في ذهن السامع نتيجة الوصل ، وكل الأوقاف السابقة حكمها هو الجواز هذا القبيح . أما وقف البيان فهو واجب أو لازم بمعنى أنه يحوّل الوقف التام من الجواز إلى الوجوب ، وكذلك مع بقية الأوقاف ، فإذا كانت الأوقاف الجائزة تستهدف تحديد المعنى ، فإن وقف البيان يجئ مع أي نوع منها لدفع وهم يحول دون هذا التوجيه أو التحديد الذي تقوم به الأوقاف الأخرى . وتلك طائفة من الأمثلة لوقف البيان .

أ- فمن التام الذي هو للبيان :

١- قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾ [يونس ٦٥] هنا وقف تام ، وهو في نفس الوقت وقف بيان . والابتداء ﴿ إن العزة لله تعالى ﴾ [نفس الآية] فهو وقف تام لانفصال السابق عن اللاحق

(١) انظر النشر ١ / ٢٣٢ ، ومنار الهدى ص ١٠ .

لفظاً ومعنى ، واستغناء السابق عما يليه . وهو وقف بيان لأن القارئ لو وصل الكلام لأوهم ذلك بأن قوله ﴿ إن العزة لله تعالى ﴾ من قول الذين أحزنوا الرسول فهم كفار لا يقولون بذلك .

٢- ومن ذلك أيضاً قول الحق جل ثناؤه : ﴿ أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ [الزمر ٣٢] هذا وقف تام ، ثم يبتدئ القارئ ﴿ والذي جاء بالصدق ﴾ [الزمر ٣٣] هنا يلزم الوقف للبيان ، لأنه لو وصل لأوهم ذلك العطف ، ولأشرك النبي - معاذ الله - مع الكافرين في المصير .

٣- ومنه أيضاً قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أصحاب النار ﴾ [غافر ٦] هنا وقف تام ، ثم يبتدئ القارئ : ﴿ الذين يحملون العرش ﴾ [غافر ٧] ، وهنا يلزم الوقف للبيان حتى لا يتوهم السامع أن (الذين) نعت لـ (أصحاب النار) ، فليس الذين يحملون العرش بأصحاب النار .

٤- ومنه أخيراً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن ﴾ [إبراهيم ٣٨] ، هذا وقف تام ثم يبتدئ القارئ : ﴿ وما يخفى على الله من شيء ﴾ [نفس الآية] . وهنا يجب أن يتحول الوقف التام من الجواز أصلاً إلى الوجوب من أجل البيان ؛ لأنه لو وصل لأوهم أن (ما) في قوله (وما يخفى) معطوفة موصولة مثل (ما) في قوله (ما نخفي) على حين مع وقف البيان سيتضح أنها (نافية) قبل الفعل (يخفى) .

ب- ومن الوقف الكافي الذي هو وقف بيان :

١- قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾ [البقرة ٨] ، ثم يبتدئ القارئ ﴿ يخادعون الله ﴾ [البقرة ٩] ، وهنا يتحول هذا الوقف الكافي بينهما إلى وقف للبيان حتى لا يتوهم السامع أن جملة (يخادعون) حال ، على حين أنها صفة لهم ، وهو ما يعني ملازمة الحدث لهم ، وليس حدثاً عارضاً .

٢- ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ ثالث ثلاثة ﴾ [المائدة ٧٣] هنا وقف كاف للبيان ، ثم يبتدئ القارئ ﴿ وما من إله إلا الله ﴾ [نفس الآية] لئلا يوهم أنه من مقولهم . فالذي يقول بالتثليث ليس هو الذي يقول بالوحدانية .

٣- ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ [مريم ٨٦] هذا وقف كاف للبيان ، والابتداء بقوله : ﴿ لا يملكون الشفاعة ﴾ [مريم ٨٧] لئلا يوهم الحالية . فهم لا يملكونها أبداً . لا في هذا الموقف ولا في سواه .

جـ- ومن الوقف الحسن الذي هو وقف بيان :

١- قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وتعزروه وتوقروه ﴾ [الفتح ٩] ، هذا وقف حسن تحول إلى وقف بيان لازم ، ثم يبتدئ القارئ (وتسبحوه) [نفس الآية] لأن القارئ لو وصل لأوهم ذلك اشتراك عود الضمير على شيء واحد على حين أن الضمير في الأولين عائد على النبي ﷺ ، وفي الفعل الأخير عائد على الله جل ثناؤه . فهو وحده المتفرد بحق التسبيح .

٢- ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت ﴾ [يوسف ٢٧] ، هذا وقف حسن ، وهو وقف بيان لازم ، والابتداء ﴿ وهو من الصادقين ﴾ [نفس الآية] للإشعار بأن يوسف عليه السلام من الصادقين في دعواه دائماً . وليس في هذا الموقف فحسب .

٣- ومنه أخيراً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فأنزل الله سكينته عليه ﴾ [التوبة ٤٠] هذا وقف حسن للبيان ، والابتداء بقوله : ﴿ وأيده بجنوده ﴾ [نفس الآية] لئلا يوهم أن الضمير في (عليه) يعود على ما يعود عليه الضمير في (أيده) على حين أن الضمير الأول - كما قيل - يعود على أبي بكر الصديق - رضي الله عنه ، فهو الذي احتاج إلى أن يطمئن وتسكن نفسه ، كما يتضح مما قبله مباشرة ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ ، على حين أن الضمير في (وأيده) يعود على النبي عليه الصلاة والسلام [١] .

وتجدر الإشارة إلى أن نماذج وقف البيان السابق عرضها تمثل إجراءً يبرز العلاقة الوثيقة بين الوقف من جانب والدلالة أو المعنى من جانب آخر بشكل مباشر ، وتأثير الأول على الثانية تأثيرٌ ظاهرٌ .

وسوف يزداد وضوحاً مع القرائن المتنوعة في الباب الثاني من هذه الدراسة إن شاء الله .

(١) راجع في وقف البيان النشر ١ / ٢٣٢ ، ومنار الهدى / ١٠ .

بين علامات الوقف وعلامات الترقيم :

يثير الكلام عن الوقف كفاصلة بين وحدات الكلام المنطوق توجه المعنى وتؤثر عليه ، يثير تساؤلاً عن علاقة أنواعه ورموز هذه الأنواع كما تبدو في رسم المصحف بأنواع علامات الترقيم ، وما تدل عليه . وهل تصلح النقطة (.) رمزاً كتابياً للفاصلة الخاصة بالوقف التام ، والفاصلة غير المنقوطة (،) رمزاً للوقف الكافي ، والفاصلة المنقوطة (؛) للوقف الحسن ؟

من المعروف علمياً أن اللغة تتمثل لنا في مستويين ، الأول : اللغة منطوقة وفيها تكون اللغة رموزاً صوتية عرفية لمفاهيم معينة لدى الجماعة صاحبة اللغة ، والمستوى الثاني : اللغة مكتوبة ، وفيها تكون اللغة حروفاً مكتوبة ترمز للوحدات المنطوقة ، وهي كذلك عرفية تدل على معانٍ معينة لدى نفس الجماعة ، ومن المعلوم كذلك أن اللغة المنطوقة هي الأصل ، وأن اللغة المكتوبة هي صورة الأصل .

ولاشك أن الرموز الخاصة بالأوقاف هي رموز اصطلاحية خاصة ارتضاها نفر من علماء القراءات والوقف ورسم المصحف ، وهي رموز خاصة كذلك بالنصّ القرآني . وكما أن هناك خلافاً حول أنواع الوقف ومسمياته فكذلك هناك خلاف كبير حول الرموز التي تشير إلى هذه المسميات .

أما الرموز الخاصة بالكتابة والمسماة بعلامات الترقيم فهي رموز اصطلاحية خاصة بعلماء اللغة ، وهي لا تخص مستوى معيناً من اللغة ، بل هي صالحة لأي مستوى ولأي نصّ .

ويبقى القاسم المشترك بين رموز الأوقاف في القرآن الكريم ، ورموز علامات الترقيم في الوظيفة التي تلعبها هذه الرموز في توجيه معنى النص ، من خلال وصل الكلام وفصله ، وتأثير ذلك على الدلالة . تلك هي العلاقة بين

هذين النوعين من الرموز ، وعلى حين تختلف علامات الوقف وأنواعه بين علماء الوقف ، نجد أن علامات الترقيم أكثر ثباتاً واستقراراً بين علماء اللغة .

فمن حيث رموز الأوقاف من جانب ورموز علامات الترقيم من جانب ثان يحسن أن يبقى كل نوع منهما مستقلاً بما وُظِّف له ، لكن الجانب الذي يمكن الاستفادة منه من جهد علماء الوقف هو في الاستفادة من مفهوم هذه الأنواع (التام ، الكافي ، الحسن) ، ولا بأس كذلك من الاصطلاح على أن نرمز للتام بـ (النقطة) ، والكافي بـ (الفاصلة غير المنقوطة) ، والحسن بالفاصلة المنقوطة . ويمكن لنا مثلاً أن ندرب أولادنا في كل المراحل على مهارة فهم ما يقرءون ، بقدر اهتمامنا بأن يحسنوا نطقه ، ثم نختبر قدراتهم في القراءة من خلال إجادتهم للأوقاف التي تعكس فهمهم للنصوص ، كما نختبر هذا الفهم الصحيح كذلك من خلال امتحانات تحريرية لوضع رموز الأوقاف في مواضعها ، الأمر الذي يساعد على تدريب الملكة اللغوية على الفهم ، وهو جانب طال إهماله في عملية تعليم اللغة . ولاشك أن إجادة النطق مع إجادة الفهم يمثلان أهم مظهرين لامتلاك اللغة امتلاكاً حقيقياً .

الابتداء :

إذا كان الوقف هو قطع الصوت زمناً يسمح بالتنفس على نية استئناف القراءة ، فليس يعني ذلك أن يعاود القارئ قراءته من حيث وقف . بل الأمر محكوم بمدى صحة المعنى إذا ابتدأ من موضع بعينه أو فساده .

فإذا كان المعنى لا يفسد أو يختل جاز الابتداء من حيث وقف ، وإذا لم يستقم المعنى أو فسد امتنع الابتداء . ويترتب على ذلك وجود أربعة أنواع من الابتداء تقابل أنواع الوقف الأربعة ..

١- الابتداء التام : ولا يتعلق ما قبل الابتداء بما بعده لا في اللفظ ولا في

المعنى . وينطبق هذا المفهوم على الوقف التام . فالوقف مصطلح يخص السابق ، والابتداء يخص القادم . وأمثلتهما واحدة .

٢- الابتداء الكافي ، ولا يتعلق ما قبل الابتداء بما بعده في اللفظ ويتعلق في المعنى ، وينطبق هذا المفهوم على الوقف الكافي . كما أن أمثلة الوقف الكافي هي نفسها أمثلة الابتداء الكافي .

٣- الابتداء الحسن : ويتعلق ما قبل الابتداء بما بعده في اللفظ وفي المعنى ، ولكن لا يختل المعنى ولا يفسد بهذا الابتداء . وأهم نماذج الابتداء الحسن على رءوس الآي ، وقد سبق القول إن هذه القراءة هي السنة المستحبة . فيمكن للقارئ أن يبتدئ : الرحمن الرحيم ثم يقف ويبتدئ مالك يوم الدين ثم يقف ويبتدئ إياك نعبد وإياك نستعين .. الخ .

أما إذا اشتد تعلق ما قبل الابتداء بما بعده صار الابتداء قبيحاً . ومن أمثلة ذلك .

قال الحق سبحانه : ﴿ قالت اليهود ﴾ [التوبة ٣٠] (ثم يقف القارئ) ويبتدئ القراءة ﴿ عزير بن الله ﴾ [نفس الآية] . هذا ابتداء قبيح .

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ قالت النصارى ﴾ ثم يقف ويبتدئ ﴿ المسيح ابن الله ﴾ [التوبة ٣٠] هذا أيضاً ابتداء قبيح .

ومنه كذلك قوله تعالى : ﴿ قالت اليهود ﴾ ثم يقف ويبتدئ ﴿ يد الله مغلولة ﴾ [المائدة ٦٤] فهذا أيضاً ابتداء قبيح .

ومنه أخيراً قوله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا ﴾ [المائدة ٧٣] ثم يقف ويبتدئ ﴿ إن الله ثالث ثلاثة ﴾ كل هذا وما شاكله ابتداء قبيح لأنه يبتدئ

بكلام فاسد من حيث ما يترتب على العلاقات الجديدة بين الوحدات من معنى مرفوض عقدياً .

وقد اقتصد أكثر من تحدثوا عن الابتداء ، وكأنهم اكتفوا بالتفصيل الذي أوردوه عن أنواع الوقف ، من منطلق أن سلامة المعنى هي الفيصل في الحكم بجواز الوقف ، وهو ما ينطبق على حكم جواز الابتداء ، وأن فساد المعنى هو الفيصل كذلك في الحكم بعدم جواز الوقف ، وهو ما ينطبق على عدم جواز الابتداء ، ولا يجوز الابتداء بأي موضع يترتب على الابتداء به خلل في المعنى أو لبس أو غموض أو تغيير للعلاقات بين الوحدات تحيل المعنى وتفسده كما مر في الأمثلة من قبل .

وقد سبق القول إن جواز الابتداء لايكون إلا بعد الوقفين التام والكافي . أما بعد الوقف الحسن فلايجوز إلا إذا فهم الكلام ولم يلتبس ، أما إذا وقع لبس أو غموض أو فساد امتنع الابتداء وهذا قد يقع احيانا بعد الوقف الحسن ، وهو واقع دوماً بعد الوقف القبيح .

الفصل الثالث

مفهوم الدلالة التركيبية

الفصل الثالث

مفهوم الدلالة التركيبية

الدلالة التركيبية :

يعد تحديد المقصود بالدلالة التركيبية في هذه الدراسة أحد أهم محاور هذا الباب ، بعد أن سبق تحديد مفهوم الوقف وأنواعه .

والبحث في الدلالة كما هو معروف شائك ومعقد ، وتحديد أنواعها يتصف بما يتصف به الموضوع برمته ، وربما كان من أكثر الجوانب عسراً في التناول هو الفصل بين أنواع الدلالة .

وإذا ارتضينا بشكل اصطلاحي أن المعنى هو الدلالة في مقابل المصطلح الإنجليزي (Meaning) فإن المشكلة تكمن في أن حديثنا عن أنواع الدلالة يتعلق على الأقل بناحيتين : الأولى : أنواعها عند من ؟ ، والثانية : أنواعها في أي جانب من جوانب الحدث اللغوي ؟

وعن الجانب الأول نجد أن أنواع الدلالة عند القدماء يختلف من أمة إلى أخرى ، فإذا قلبنا مثلاً في تراث الهنود اللغوي سنجد أن الهنود قسموا أنواع الدلالة كما جاء عن باتنجالي أربعة أقسام تبعاً لعدد الأصناف الموجودة في الكون ، لأن الكلمات شارحة لهذه الأصناف ، وهذه الأقسام الأربعة هي :

أ- قسم يدل على مدلول عام أو شامل Universal مثل : بقرة ، فرس ، كلب ، فيل ، فكل منها يدل على شيء عام ، فلفظ بقرة اسم عام يطلق على أي

بقرة . ودلالة العموم عندهم في (بقرة) هي خاصية جوهرية (تخلع الحياة على الذات) [١] .

ب- قسم يدل على كيفية Quality مثل : قوي ، ذكي ، طويل ، سائل ، صلب ، هلامي ... الخ ، ودلالة الكيفية مجرد عامل مخالف أو عنصر مميز بين الأفراد .

جـ- قسم يدل على حدث Action مثل : جاء ، نجح ، تزوج ، انتصر .. الخ ، وهي دلالة تشير إلى خاصية تتصف بالتتابع الموقوت بزمن خلافاً لدلالة الكيفية التي لا ترتبط بقيد الوجود الوقتي : (إن وحدة الحدث Action Unit مثل (الطبخ) ليست مستقلة بنفسها ، ولا فكرة منفصلة بذاتها ، ولكنها مجموعة من الحقائق الممتدة خلال فترة محددة من الزمن مثل : إشعال النار – وضع القدر على النار ، صب الماء ، وضع الأرز ، إنزال القدر بعد الطبخ) ، وليس أيٌ منها على انفراد . وعلى هذا فالتتابع المؤقت يشكل وحدة الحدث من أي نوع [٢] .

د- القسم الرابع ، وهو ما يدل على مادة Substance أو أسماء الأشخاص proper names مثل محمد – علي – قيصر – شكسبير .. الخ .

وعلى حين ترتبط الدلالات الثلاث السابقة بوجود مقابل موضوعي خارجي للدلالة ، فالبقرة تدل على هذا المخلوق المعروف ، والسخونة حالة معلومة مدركة للناس كافة ، ونجح حدث على شيء وقع في زمن مضى ، وهو

---

(١) انظر البحث اللغوي عند الهنود ص ١٠٦ .

(٢) راجع السابق ص ١٠٨ .

يتميز عن سواه من الأحداث التي تقع في حياة البشر ، فكل هذه الأشياء لها وجود موضوعي في الواقع ، أما إطلاق كلمة « محمد » مثلاً ليس له شيء خارجي تلتقي معه . إننا قد نسمي كلباً باسم Caeser ، كما يسمى به الفاتح الروماني الشهير على الرغم من عدم وجود مشابهة بينهما . فالسلسلة الصوتية لاسم الشخص (قيصر) مثلاً تدل على نفسها ، ويخضع إطلاق الاسم على المسمى لهوى من يطلق وخياله ، أما كلمات العموم والكيفية والحدث فهي تدل على أشياء غير الكلمات نفسها ، أشياء من الناحية الموضوعية ذات وجود واقعي [١] .

ونلاحظ على هذه الأنواع من الدلالة :

أنها كلها من قبيل الدلالة الإشارية reference ، وهي نوع من الدلالة يؤخذ المدلول أو الشئ الخارجي في الاعتبار عند تحديدها ، وهذا الشئ عنصر غير لغوي فكلمه ضرب وحدة لغوية وعملية الضرب نفسها ليست من اللغة ، وكلمة بقرة دال لغوي أما البقرة ذاتها فليست عنصراً لغوياً . ولو كانت البقرة ذاتها عنصراً لغوياً لكانت البقرة في اللغة الإنجليزية شيئاً من حيث هيئته وشكله وصفاته الخلقية مختلفاً عن البقرة في اللغة العربية أو الصينية ، على حين أن البقرة هي ذلك الكائن الحي الذي يمكن تمييزه من غيره من الكائنات الحية ، وله بينها كينونة واحدة بصرف النظر عن اختلاف الدال الذي يشير إليها من لغة إلى أخرى . والذي يعنينا نحن اللغويين أن نحدد مدلول كلمة بقرة من خلال النظام اللغوي دون أن نقحم العناصر غير اللغوية كهيئة البقرة وجثتها في هذا التحديد .

وللعرب نصيب في هذه المحاولة التي يسعى فيها البحث لتحديد أنواع

(١) انظر السابق ص ١٠٩ .

الدلالة . فعلماء الفلسفة عنوا بتحديد الدلالة ، وبيان أنواعها غير أن الدلالة عندهم ، وبخاصة المتقدمون كالفارابي وابن سينا والغزالي كانت تنصب على دلالة الألفاظ (Sense) ، وتتركز على اللفظة والأثر النفسي الذي تحدثه الأمر الذي جعلهم يركزون على ثلاثة أمور : اللفظة (الدال) والصورة الذهنية (المدلول) والأمر الخارجي ، (المرجع referent) .

وفي ضوء ذلك تقوم مجموعة من العلاقات بين :

أ- الخط واللفظ أو الكلمة مكتوبة والكلمة منطوقة .

ب- اللفظة والصورة الذهنية .

جـ- الصورة الذهنية والأمر الخارجي .

وتنحصر الدلالة في العلاقة بين اللفظ والصورة الذهنية وعليه فإن : « معنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ، ارتسم في النفس معنىً ، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم ، فكلما أورده الحسّ على النفس التفتت إلى معناه »[١] .

وهذا الكلام يذكرنا بكلام أولمان في كون المعنى هو علاقة متبادلة بين الدال والمدلول ، واللفظ هو الدال والصورة الذهنية هي المدلول على حين أن « الخط أو الرمز الكتابي دال غير مدلول عليه ، والأمر الخارجي مدلول عليه غير دال »[٢] .

وإذا كان ابن سينا والفارابي لا يستبعدان الأمر الخارجي أو المرجع referent من الدائرة التي تتحكم في تحديد الدلالة فإن آخرين يخرجونها ، فهذا يحيى العلوي يرى أن : « الحقيقة في وضع الألفاظ إنما هو للدلالة على

(١) الشفاء ، العبارة ص ٢ .

(٢) انظر شرح العبارة للفارابي ص ٢٥ .

المعاني الذهنية دون الموجودات الخارجية . والبرهان على ما قلناه هو أنا إذا رأينا شبحاً من بعيد وظنناه حجراً سميناه بهذا الإسم ، فإذا دنونا منه ، وظننا كونه شجراً ، فإنا نسميه بذلك فإذا ازداد التحقيق بكونه طائراً سميناه بذلك ، فإذا حصل التحقيق بكونه رجلاً سميناه به ، فلا تزال الألقاب تختلف عليه باعتبار ما يفهم منه من الصور الذهنية ، فدل ذلك على أن إطلاق الألفاظ إنما يكون باعتبار ما يحصل في الذهن ، ولهذا فإنه يختلف باختلافه »(١) .

في ضوء ما سبق من كون الدلالة هي علاقة بين الدال والمدلول على تفاوت في اعتبار الأمر الخارجي أو عدم اعتباره ، فإنهم يقسمون الدلالة ثلاثة أنواع : وضعية ، وعقلية ، وطبعية .

فالدلالة الوضعية : وهي الدلالة الاصطلاحية العرفية . كدلالة ألفاظ اللغة على مدلولاتها التي وضعتها لها الجماعة صاحبة اللغة ، فهناك إذن لفظ أو دال أو موضوع ، وهناك مدلول أو موضوع له ، وهناك الوضع أو الاصطلاح على أن هذا الدال لذاك المدلول . ومن أمثلة ذلك وضع كلمة (إنسان) للحيوان الناطق ، وإطلاق كلمة (أسد) على هذا الحيوان المعروف ، ووضع كلمة (ضارب) لمن قام به الضرب ، ووضع كلمة (ضرب) لهذا الحدث في هذا الزمن المعروف(٢) .

أما الدلالة العقلية : فهي « دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية ينتقل لأجلها منه إليه . والمطلوب بالعلاقة الذاتية استلزام تحقق الدال في

(١) الطراز جـ ١ ص ٣٦ .

(٢) انظر كشاف اصطلاحات الفنون ص ٤٨٤ ، وانظر علم الدلالة عند العرب ص ٢٠ ، ٢١ .

نفس الأمر تحقق المدلول فيها مطلقاً ، سواء أكان استلزام المعلول للعلة كاستلزام الدخان للنار أو العكس كاستلزام النار للحرارة ، أو استلزام أحد المعلولين للآخر كاستلزام الدخان للحرارة »[١] .

فالدلالة العقلية : تقتضي وجود لازم ذهني به تُفْهم ، فقبول العلم دلالة عقلية التزامية مفهومة من لفظ (إنسان) ومن ذلك ، دلالة لفظ أب على أن له مولوداً ودلالة لفظ زواج على حق استمتاع كل من الزوجين بالآخر .. الخ .

أما الدلالة الطبيعية : وهي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه « ... كدلالة (أح أح) على السعال ، وأصوات البهائم عند دعاء بعضها بعضاً ، وصوت العصفور عند القبض عليه ، فإن الطبيعة تنبعث بإحداث تلك الدوال عند عروض تلك المعاني ، فالرابطة بين الدال والمدلول ههنا هو الطبع »[٢] .

وكلمة الطبع في هذا السياق تبدو أقل تحديداً من كلمتي الوضع والعقلية فيما مضى . وإن كان الغالب هو أن الدلالة الطبيعية تنحصر في الدلالة المفهومة من صوت طبعي ، لأن الصوت كما يقول ابن باجه : « إما أن يدل بالطبع ، وإما أن يدل بالقصد »[٣] . فالأخير هو أصوات اللغة كأداة اتصال بين البشر ، أما الصوت الصادر عن الطبيعة فكأصوات الطيور والحيوانات ، وكل صوت دل بطبعه على مصوته كالهدم ونقر النحاس وخرير الماء ، وحفيف الشجر ، وقرقرة البطن ... الخ .

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ٤٨٧/ ٤٨٨ .

(٢) السابق ٤٨٨ .

(٣) انظر التقريب لحد المنطق ص ١٢ .

ونلاحظ على هذه الدلالة وأنواعها أمرين :

أن الدلالة هنا (Sense) هي دلالة الرموز والإشارات اللغوي منها وغير اللغوي ، وأثر هذه الدلالة على السامع أو القارئ ، وهذا بالسيميولوجيا أدخل منه باللغة ، ومعلوم أن الأخيرة جزء من الأول ، ولذا وجدنا جزءاً من هذه الدلالة هو من قبيل دلالة الألفاظ ، كما في الدلالة الوضعية والعقلية ، وجزءاً آخر هو من صميم السيميولوجيا كالأصوات غير اللغوية في الدلالة الطبيعية . والجزء الخاص بدلالة الألفاظ هو نفسه جزء من الدلالة اللغوية .

وليس يعني ذلك بحال التهوين من قيمة هذا التناول لقضية الدلالة عند الفلاسفة العرب بل هو مجرد رصد لمجال هذا التناول والدائرة التي يدور فيها هذا الجهد ، ومن الإنصاف أن يقال إن هذه المعالجة العربية في مجالها تعد رائدة وأصيلة فهي تعالج دلالة الرمز (لغوياً وغير لغوي) معالجة سيميولوجية شاملة تماثل معالجات علماء السيميولوجيا المحدثين ، وبخاصة عند (بيرس) رائد هذه الدراسة في أمريكا الذي يقسم العلامات ثلاثة أنواع تكاد تقابل أنواع الدلالات عند العرب . العلامة الأولى هي الرمز Symbol وهي تقابل الدلالة الوضعية ثم الشاهد index وتقابل الدلالة العقلية ، ثم الإيقونة icon وتقابل الدلالة الطبعية مع اختلاف يسير في بعض التفاصيل (١) .

ولا يقل جهد علماء أصول الفقه قيمة وأثراً في مجال الدرس الدلالي عن جهد الفلاسفة ، ووجه القرب بينهما سهل الإدراك .

وللدلالة عندهم أقسام كل قسم منها تندرج تحته أنواع من الدلالات ، فعن طرق دلالة اللفظ على المعنى مثلاً نجد أنواع الدلالة التالية :

---

(١) انظر علم الدلالة عند العرب ص ٢٩ ، وما بعدها .

١- دلالة العبارة : وهي دلالة الصيغة على المعنى المتبادر فهمه منها ، المقصود من سياقها سواء أكان مقصوداً من سياقها أصالة أو مقصوداً تبعاً [(١)] ، فمن المقصود أصالة ، وهو ما يعرف بالمعنى المطابق عند الفلاسفة قوله تعالى : ﴿ واجلدوهم ثمانين جلدة ﴾ فالعدد هنا محدد ومقصود أصالة ، واللفظ يدل على تمام المعنى الذي وضع له . ومن المقصود تبعاً قوله تعالى : ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ﴾ فوجوب نفقة الوالدة المرضع على الأب هو معنى مطابق مقصود أصالة من السوق ، والمعنى الدال على ارتباط الولد بأبيه واختصاصه به مفهوم من قوله (المولود له) هو معنى مقصود تبعاً [(٢)] . وهذا يدخل بوجه عام فيما يعرف بالدلالة الوضعية عند الفلاسفة .

٢- دلالة الإشارة : وهي دلالة النص على معنى لازم لما يفهم من عبارته ، غير مقصود من سياقه ، يحتاج فهمه إلى فضل تأمل .. ، بحسب ظهور وجه التلازم وخفائه » [(٣)] . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ويفهم منه بطريق الالتزام وجوب إيجاد طائفة من الأمة تمثلها وتستشار في أمرها . ولاشك أن هذا النوع من الدلالة يقابل الدلالة العقلية عند الفلاسفة .

٣- دلالة النص : ولها مصطلحات أخرى [(٤)] : وهي دلالة اللفظ على تعدي حكم المنطوق به إلى حكم مسكوت عنه لاشتراكهما في علة يفهم كل عارف

---

(١) انظر أصول الفقه (خلاف) ١٤٤ .

(٢) وانظر البحث الدلالي عند الأصوليين ص ٩٣ .

(٣) السابق ٩٦ .

(٤) السابق / ٧٧ .

باللغة أنها مناط الحكم »[١] . فهو معنى مفهوم من روح النص ومعقوله كقوله : ﴿ فلا تقل لهما أفٍ ﴾ فدلالة النص أنه ينهى عن كل ما فوق الأف كالضرب والشتم ، لاشتراك ذلك مع الأف في الدافع للنهي أصلاً، وهو الإيذاء ، ولما كان مفهوماً أن الضرب أكثر إيجاعاً وإيذاءً للوالدين ، كان النهي عنه مفهوماً بدلالة النص .

٤- دلالة الاقتضاء : وهي دلالة الكلام على مسكوت عنه بحيث لا يستقيم معناه إلا بتقديره . مثل : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ﴾ ، أي زواجهن ، فهي دلالة مفهومة ضمناً من فحوى النص ، وليس من بنيته الظاهرة ، والمفهوم من العناصر المحذوفة غير الظاهرة في عبارة النص ونظام اللغة يقتضي وجودها هو ما يعرف بدلالة الاقتضاء .

والتناول الأصولي هنا لأنواع الدلالة يختلف في مجمله عن تناول الفلاسفة العرب ، تناول الأصوليين أدخل إلى درس الدلالة اللغوية منه إلى الدلالة في إطار السيميولوجيا ، درس الأصوليين الدلالي هو في دائرة الخاص ، وهو اللغة ، ودرس الفلاسفة هو في دائرة العام الذي هو السيميولوجيا .

إن الأصوليين يحددون الدلالة من خلال النص اللغوي ، والعلاقات التي تقوم بين وحداته والدلالات التي يؤديها ، أما الفلاسفة فيحددونها من خلال العلاقة بين الدال والمدلول والأمر الخارجي ، وأثر ذلك على المتلقي ، وهي عناصر - ما عدا الدال - ليست لغوية ، فالمدلول أو الصورة الذهنية ، والأمر الخارجي أو الشيء في الواقع (المشار إليه) . والسامع أو المتلقي كلها عناصر غير لغوية . وهو ما يجعل عمل الأصوليين - بوجه عام - أقرب إلى ما تسعى إليه من عمل الفلاسفة .

(١) انظر الإحكام في أصول الأحكام ٩٤/٣ ، وأصول التشريع الإسلامي ٢٧٥ .

قد يبدو ما سبق نوعاً من السرد التاريخي لأنواع الدلالة عند القدماء ، وما لهذا قصد البحث ، وإنما أراد البحث أن يقدم نمطاً من التفكير يمثل هذا التداخل بين العلماء في فهمهم للمعنى وتصنيفهم لأنواعه ، وهو أمر جعلهم يبحثون عن أنواع الدلالة من خلال البحث عن العلاقة بين الدال (اللفظ) والمدلول (الصورة الذهنية) والشئ المشار إليه (المرجع referent) وهو أمر اهتم به الفلاسفة وعلماء النفس والمنطق وعلماء اللغة . وهو ما يشير إلى أن القضية مشتركة بين علوم هؤلاء وأولئك .

وحينما سيطر التفكير العلمي على الدراسات اللغوية ، وبخاصة بعد دي سوسير بدأت البحوث العلمية في مجال الدلالة ، بوصفه مستوى من مستويات التحليل اللغوي ، ودار جُلّ هذه البحوث في أوربا حول ما يعرف الآن بعلم الدلالة المعجمي ، وموضوعة الأساسي دلالة الألفاظ (١) .

وكان موقف بلومفيلد أبرز علماء اللغة في النصف الأول من القرن العشرين من قضية الدلالة ذات تأثير هائل على نظرة اللغويين لموضوع المعنى . فقد كان الرجل علمياً تجريبياً ، والتناول القديم الذي سبق طرحه يتكلم عن عناصر عقلية في تحديد المعنى لا يمكن إخضاعها للتحليل الميداني المعملي . فالتصور والإدراك ، والصورة الذهنية في العقل عنده موضوعات خارج البنية اللغوية الخالصة ، والمعنى الذي يمكنه أن يتحدث عنه إنما هو داخل هذه البنية لا خارجها ، وما هو خارجها ليس من علم اللغة . وقد سيطر هذا الفهم لأفكار بلومفيلد على عقول العلماء ،

(١) وفي هذا الإطار جاءت كتابات كبار العلماء الذين اهتموا بهذه القضية في أوربا مثل أولمان وفيرث ، ويعرف العلماء العرب المحدثون بعلم الدلالة قاصدين به علم الدلالة المعجمي ، ومن هذه الكتب دلالة الألفاظ لمراد كامل ودلالة الألفاظ لأستاذنا المرحوم إبراهيم أنيس .

حتى أعاد الدرس اللغوي الأمريكي النظر في قضية المعنى ، وبخاصة في إطار النظرية التوليدية التحويلية .

وفي ضوء الاتجاهات اللغوية الحديثة التي تدرس المعنى - بغض النظر عن المنهج الذي تدرس به الموضوع - يمكن التمييز بشكل أساسي بين ثلاثة أنواع من المعنى :

١- المعنى أو الدلالة المعجمية .

٢- المعنى أو الدلالة التركيبية .

٣- المعنى أو دلالة النصّ .

وهذا تعريف موجز بكل نوع منها .

أولاً : الدلالة المعجمية : [Lexical meaning] وهي دلالة الألفاظ أو الكلمات المفردة في لغة من اللغات . ونظراً لأن هذا المستوى من الدلالة يتصل بالكلمة أو اللفظة المفردة بصرف النظر عن السياق فإن هذا المعنى متعدد وفضفاض ، ومتغير كذلك ، أما تعدده فمرده لتراكم الخبرات لدى أفراد الجماعة اللغوية وتنوع البيئات الأمر الذي يترتب عليه أن يكون للدلالة المعجمية التنوعات التالية [١] :

أ- معنى أصلي أو أساسي : وهو المعنى المركزي الذي يتبادر إلى ذهن أي فرد من أفراد الجماعة اللغوية بمجرد سماع اللفظ المعين . مثل كلمة رجل حيث يفهم - أي عربي من هذه الكلمة أنها تعني إنسان ذكر بالغ .

---

(١) منقولة بتصرف من علم الدلالة . أحمد مختار عمر . لأستاذنا أنيس تقسيم آخر ، يسوّي فيه بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية . انظر دلالة الألفاظ ٤٧ / ٤٨ .

ب- المعنى العرضي أو الثانوي : وهو ما تدل عليه الكلمة دلالة غير ثابتة لارتباطها بالكلمة في زمن دون زمن أو مجتمع دون آخر أو بنظرة البيئة لما تشير إليه الكلمة ، وما يرتبط بهذه النظرة من رؤية خاصة أو موقف معين . وعلى حين يتسم المعنى الأساسي بالثبات والشمول ، يتصف المعنى العرضي بعدم الثبات ، كما أنه يتغير بتغير الثقافة والزمن والخبرة فكلمة مثل بدينة أي السيدة الممتلئة القوام كانت تساق للمدح والوصف بالجمال في بعض المجتمعات العربية كمصر قبل ثلاثين أو أربعين عاماً ، على حين أنها تساق الآن للدلالة على عكس ذلك . فدلالة الجمال التي كانت من المعاني التي تحملها كلمة بدينة ودلالة القبح التي أصبحت تعنيها هما دلالتان ثانويتان وعارضتان ومتغيرتان . أما بدينة بمعنى السيدة الممتلئة القوام فهذا هو المعنى الأساسي الثابت .

جـ- المعنى الأسلوبي : وهو الدلالة التي تفيدها اللفظة لتعكس ناحية اجتماعية أو بيئية أو ثقافية أو اقتصادية خاصة بمستعمل هذه اللفظة مثل دلالة كلمة (داد) على أن مستعملها من المتفرنجين أو الارستقراط ، ودلالة كلمة الوالد أو والدي على أن مستعملها من المثقفين أو المتأدبين ، ودلالة كلمة بابا أو بابي على أن قائلها من المتنورين أو المتحضرين ، ودلالة كلمة : أبويا أو آبا على أن مستعملها من العوام أو السوقة . مع أن هذه الكلمات جميعاً تدل على معنى لغوي أساسي أو مركزي واحد هو (الأب) .

د- المعنى الإيحائي : وهو الدلالة التي توحي بها كلمة معينة ويكون ناشئاً من خصائصها التركيبية أو من شفافيتها الخاصة . فكلمة خرير تدل على

انسياب الماء ، ولكن توحي كلمة خرير بجزء من المعنى يجسد صوت حركة الماء في الجدول لا تملكه كلمة . انسيات أو جريان الماء ، وفي كلمة (صد) أي منع معنى الصلابة والقوة في المعنى وهي دلالة أوحى بها تركيب الكلمة الصوتي ، وهو ما لا نجده في كلمة (سد) التي تشاركها المعنى الأساسي . وإلى نماذج ذلك أشار ابن جني في خصائصه[1] .

ومنه قول البحتريّ في وصف الذئب :

يقضقض عصلاً في أسرتها الردي   كقضقضة المقرور أرعده البرد .

ففي يقضقض وقضقضة دلالات أوحت بها الخصائص الصرفية التي تمثلت في صياغة الكلمة من مقطعين مكرورين يماثلان ويحاكيان حركة وصوت أسنان الذئب الجائع ويشيان معاً بالمعنى الذي تحمله بشكل يزيد على ما يحمله المرادف العادي لهذه الكلمة وليكن كلمة يضغط بأسنانه أو يحكها أو ما شاكل ذلك ، هذه الزيادة في المعنى هي الدلالة الإيحائية .

وكلمة مثل : فلان (مات) تساوى في المعنى فلان (تعيش أنت) وفي الأولى ظل من المعنى غير مستحب ليس في الثانية . وفي كلمة (أفضى) في قوله تعالى : ﴿ أفضى بعضكم إلى بعض ﴾ . أي جامع أو عاشر ، ما ليس في مرادفها العامي من معنى فاللفظة القرآنية فيها من التلطف وكريم التعبير ما ليس في اللفظة العامية من دلالات حسيَّة مثيرة هابطة . وهذه الدلالات التي توحي بها كل كلمة منهما هي من قبيل الدلالة الإيحائية .

ثانياً- الدلالة التركيبية Structural meaning

هي الدلالة الناشئة عن العلاقة بين وحدات التركيب أو المستمدة من ترتيب

١ - انظر الخصائص ٦٦/٢ أو ما بعدها .

وحداته على نحو ما . ووحدات التركيب تشمل : المورفيمات والكلمات والفونيمات فوق المقطعية (Prosodemes) (النبر والتنغيم والفواصل الصوتية) . وقد يطلق على هذه الدلالة مصطلح (Grammatical . m.) وأحب في هذا السياق أن أدفع أي إسقاط معرفي على هذه المصطلحات خاص بمدرسة لغوية معينة أو اتجاه لغوي بعينه في ضوء إشكالية المصطلح اللغوي الحديث ، من ثم فإني أشفع هذا التحديد الذي سبق تقديمه بمثال توضيحي يكشف عن تلك الدلالة التي تنشأ من وجود سلسلة من الوحدات داخل تركيب لغوي ، تقوم بينها طائفة من العلاقات النحوية ، وإذا تغيرت هذه العلاقات تغيرت الدلالة التركيبية تبعاً لذلك .

ففي قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ [فصلت ٣٠] .

في التركيب اللغوي السابق طائفة من العلاقات النحوية (١) ، ربطت وحداته بعضها ببعض على النحو التالي :

إن الذين : علاقة ناسخ (إن) بمنسوخها (الذين) .

قالوا : جملة فعلية ترتبط بالذين بوصفها (صلة) وهي علاقة تلازم من قبيل التضام ، يدعمها قرينة ربط متمثلة في الضمير (الواو) العائد من الفعل إلى (الذين) ، والعلاقة بين الفعل (قال) والواو هي علاقة إسناد .

ربنا الله : جملة إسمية بينها وبين (قالوا) علاقة تعدية لأنها مفعول للفعل .

(١) اعتمدت في مسميات العلاقات على المصطلحات التي ارتضاها أستاذنا الدكتور تمام حسان في كتابه العربية معناها ومبناها .

وعلاقة (رب) بـ (نا) علاقة نسبة أو إضافة ، وعلاقة (ربنا) بـ (الله) هي علاقة إسناد . (مبتدأ + خبر) .

ثم استقاموا : رابط + جملة فعلية (مسند + مسند إليه) تتعلق بما قبلها ، وهي جملة (قالوا) بعلاقة تبعية (عطف جمل) .

تتنزل عليهم الملائكة : (جملة فعلية) منسوخة بـ (إن) ، وتتعلق بـ (إن الذين) بعلاقة إسناد ، فالأولى (مسند إليه) والثانية (مسند) . الجار والمجرور يتعلق بـ الفعل (تتنزل) تعلقاً يفيد التخصيص . ويتعلق نفس الفعل بـ (الملائكة) بعلاقة إسناد .

ألا تخافوا : على تقدير [١] (بأن لا تخافوا) فالجملة تتعلق بجملة (تتنزل) بعلاقة (ملابسة) (حالية) ، وعلى تقدير : قائلين لا تخافوا : فالحال (قائلين) محذوف ، و (لا تخافوا) مفعول قائلين يتعلق به بعلاقة تعدية . وجملة ألا تخافوا مركبة – أن (مخففة) + اسمها ضمير شأن + (فعل + فاعل) خبر المخففة ، وهي علاقة نسخ وإسناد .

ولا تحزنوا : جملة معطوفة على (ألا تخافوا) وبينهما علاقة تبعيه وهي مكونة من عاطف + أداة نهي + مسند + مسند إليه .

إن هذه السلسلة من الوحدات اللغوية التي قامت بينها هذه الشبكة من العلاقات النحوية قد كونت تركيباً لغوياً له دلالة محددة ناتجة عن هذا التلازم والترابط بين وحداته هي ما أقصده هنا بالدلالة التركيبية . وتمثل هذا التركيب في عدد من المكونات أولها :

(١) انظر التبيان في إعراب القرآن ٢ / ١١٢٦ .

١- مجموعة من الكلمات : إن - الذين - قال + الواو + رب + (نا) + الله .... الخ .

٢- مجموعة من الوظائف النحوية : الابتداء ، الفاعلية ، المفعولية ، الحالية ... الخ .

٣- طائفة من العلاقات : الإسناد ، النسبة ، التبعية ، التضام ، التعدية ... الخ .

وأي تغيير في أي نوع منها يؤثر على الدلالة التركيبية ، سواء أكان التعديل في نوع الكلمات أو ترتيبها على هذا النحو ، وما يترتب على ذلك من تعديل في الوظائف النحوية وما ينبني على ذلك من تغيير في العلاقات التي تربط هذه الوحداتَ . ومن الأمور ذات الشأن في التأثير على هذه الدلالة كذلك الفونيمات فوق المقطعية المصاحبة لنطق هذا التركيب ، كالنبر أو الضغط على مقطع في كلمة من كلماته أو ما يصاحب نطقه من تنغيم ، أو الفصل بين الوحدات بما يشعر بانتهاء العلاقة بين وحدتين ، كل ذلك يؤثر بدوره على دلالة التركيب . وعن أثر الفصل والوصل ، أو الوقف والابتداء كفونيم فوقطعي على دلالة التركيب أو الدلالة التركيبية يتركز البحث في هذا العمل .

ثالثاً : دلالة النصّ : إن مصطلح النص Text هو مصطلح قديم جديد ، ويمكن أن نفهم في القديم ما المقصود بالنصّ من خلال عبارات مثل النص القرآني ، النصّ الأدبي أو اللغوي .. الخ . دون أن نجد تحديداً علمياً دقيقاً يقطع بأن هذا الذي أطلقوه يقابل ذلك التحديد العلمي الذي يفيده هذا المصطلح في الدراسات اللغوية والنقدية الحديثة . فالقرآن الكريم عندهم نصّ .

وقصيدة مثل (من الحمام إلى الحمام) للمتنبي تعد نصاً شعرياً وكتاب مثل (يتيمة الدهر) يعد نصاً نثرياً . ولكن لانجد مع ذلك تعريفاً عند القدماء لما يقصدونه بالنص .

أما هذا المصطلح فقد أصبح يطلق على علم واعد يحاول أن يتكئ على ما انتهت إليه الدراسات اللغوية (اللسانيات) الحديثة في فكّ شفرة الرسالة اللغوية والانطلاق إلى أبعاد أوسع ترى في النصّ (علامة) تحمل دلالات أكثر تكثيفاً وتحتاج في فهمها إلى وضعها في الإطار السيميولوجي الواسع الذي تفسر به العلامة ، الأمر الذي يجعل من النصّ شيئاً مختلفاً عن العناصر التي سبق تحديدها أقصد (الكلمة) و (التركيب) من حيث الطبيعة أو الخصائص والوظيفة ، والدلالة :

فإذا كان النص هو القول اللغوي المكتفي بذاته والمكتمل دلالياً ، فإن هذا يمكن أن ينطبق على (كلمة) ويمكن أن ينطبق على (جملة أو تركيب) كما يمكن أن ينطبق على (كتاب كامل) . لأن النص (علامة) ، وكما يقول هلمسليف : (إن كلمة واحدة مثل (نار) يمكن أن تكون علامة في مقابل عمل روائي ضخم) [١] ، فالنصّ إذن ليس وحدة تختلف عن الكلمة والجملة اختلافاً كمياً بحيث تعد الكلمة وحدة صغيرة ، والجملة وحدة كبيرة والنص وحدة أكبر منهما ، فليس بالطول أو الحجم المعين يتحدد النص بل إن الفارق هنا نوعي يتمثل في أن النصّ لابد أن يتميز بالاكتمال والاستقلال بصرف النظر عن أبعاده وطوله .

ومن حيث وظيفة النص ، فلابد أن يحقق النص غرضاً اتصالياً بمعنى

(١) بلاغة الخطاب وعلم النصّ ، ص ٢٣٢ .

أن يحقق مقصديةً قائله في عملية التواصل اللغوي . الأمر الذي يجعل من النصّ كما يرى بعض علماء هذا العلم (وحدة أيدلوجية) قابلة في ضوء هذا الفهم أن تعالج بمقولات منطقية ورياضية أكثر من صلاحية المقولات اللغوية الصرف له ، فإذا كان التركيب ظاهرة لغوية خالصة ، ودلالته كما سبق القول يمكن تحديدها من خلال مجموعة من العلاقات التي تربط وحداته ، وهو تحديد يعتمد على آلية لسانية خالصة . فإن النص : (أكثر من مجرد خطاب أو قول . إذ أنه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة غير لغوية ، بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة ، لكنها غير قابلة للانحصار في مقولاتها ، وبهذه الطريقة فإن النصّ جهاز عبر لغوي يعيد توزيع نظام اللغة ، بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية ، مشيراً إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها .

ففي النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى (١) ، وهذا يعني أن النصّ المعين إنما يكتب كما يرى نويو جراند في إطار خبرة سابقة ، وليس يعني ذلك أن النصوص تمثل إعادات لبعضها بعضاً ، بل المقصود هو أن النصوص السابقة تشكل خبرة يستند إليها في تكوين النصوص اللاحقة والكشف عنها (٢) . وهو ما يعرف بالتناصّ intertextuality .

وما سبق يجعل من تحليل النص ومعالجته عملاً يختلف عن معالجة الوحدات اللغوية الخالصة كالكلمة والجملة ، فالأخيرة يمكن أن تعالج في ضوء معطيات علم اللغة على حين أن النص لابد أن يعالج في ضوء شبكة من العلوم

---

(١) انظر السابق ٢٢٩ .

(٢) علم النص ونظرية الترجمة ص ٥٠ .

اللغوية والاجتماعية والسيكولوجية وعلوم الحاسب الآلي والمنطق والرياضيات ، (إن علم النصّ يحاول أن يوجد نوعاً من التوازن بين العناصر النحوية والتقليدية في اللغة ، والعناصر غير النحوية التي تدخل في إنتاج النصوص من حيث هي وحدات علاقية اتصالية ، وهي العناصر الذهنية Cogintive aspects ، والعناصر غير اللغوية – Extra linguistics ، والتي أهملت إهمالاً تاماً في مجال دراسات الجملة »(١) .

والدلالة في النص إذن دلالة مركبة تركُّب الدلالة التي تحملها (العلامة) في إطار السيميولوجيا فبعضها دلالة لغوية ، وبعضها دلالة عقلية ذهنية ، وبعضها دلالة نفسية وبعضها دلالة اجتماعية .. الخ .

الأمر الذي جعل من علم النص ملتقى تتعاون فيه جملة من العلوم لفكّ شفرته ، وعناصر كثيرة مما سبق طرحه متصلاً بمفهوم النصّ عند المحدثين قد دار بخلد بعض القدماء (٢) . فكل منهم نظر إلى جانب من هذه الجوانب ، فالدلالة اللغوية تعاونت طائفة من العلوم عند العرب في الكشف عنها ، وبخاصة تلك التي عنيت بالنصّ القرآني كعلوم النحو واللغة وعلم المعاني في البلاغة العربية وعلم أصول الفقه ، كما عنيت بالدلالة الذهنية وعلاقة الدال بالمدلول جهود الفلاسفة على نحو ما سبق القول ، واعتبار النصّ وحدة

(١) السابق ص ٥٦ .

(٢) فالقول بأن النص « هو القول اللغوي ، المكتفي بذاته ، والمكتمل دلالياً » يكاد يطابق نص الغزالي : (واعلم أن المركب من الإسم والفعل والحرف تركيباً مفيداً ينقسم إلى مستقل بالإفادة من كل وجه مثال : ولا تقربوا الزنا ، ولا تقتلوا أنفسكم ، وذلك يسمى نصاً ، وأما الذي لا يستقل إلا بقرينة فكقوله تعالى : أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح ، وقوله : ثلاثة قروء » انظر المستصفى ١ / ٣٣٤ – ٣٣٦ .

أيدلوجية يعكس جزءاً من ذلك نقولات كثيرة عنهم عندما يفرقون بين ألفاظ النص ومبانيه من جانب ، وروحه ومعقولة من جانب ثان ، فالنصّ ينطلق من فلسفة خاصة بمنشئه تعكس تصوره ومعتقده الفكري . وتلك روح النص الأمر الذي يجعل من النص وحدة تدور حول فكرة معينة ، وتركيبه اللغوي عنصر واحد من طائفة من العناصر المتداخلة ، أما العناصر غير اللغوية في تحليل النص Extra linguistics فلاشك أنها أهملت عند العرب وعند سواهم ، كما أن هذا الربط المنهجي بين طائفة من العلوم بكل منجزاتها الحديثة وتوظيفها لتفسير دلالة (العلامة) أو النص في ضوء السيميولوجيا الحديثة ، فلا بدأن نسلم بأن ذلك من منجزات العلم الحديث وحده ، وأن جهود القدماء لا تعدو الإشارات إلى جزء من دلالة العلامة ، دون أن يكون لهذا الجهد فضل السيطرة على آلية علمية أو امتلاك وسيلة منهجية لها هذه القدرة على تحليل النص تحليلاً شمولياً على نحو ما يسعى المحدثون في إطار علم النصّ .

في ضوء الأنواع السابقة فإن هذا البحث لا يسعى للبحث عن الدلالة المعجمية ، ولا هو يطمح إلى تحديد دلالة النصّ الأكثر تكثيفاً ، وإنما يكتفي بدراسة الدلالة التركيبية في إطار لساني خالص كما تبدو من خلال تناول نفر من العلماء العرب الذين عالجوا ظاهرة سياقية هي الوقف ، وأبانوا عن أثرها على هذا النوع من الدلالة .

الفصل الرابع

نظريـــة التـــلازم

الفصل الرابع :

نظرية التلازم

إن أي باحث لغوي معاصر له أدنى قدر من الاتصال بعلم اللغة الحديث سيدرك بيسر أن العلماء العرب من خلال ما وصلنا من تراثهم اللغوي سواء ما خلفه اللغويون الخلص كالخليل وسيبويه وابن جني أم الذين أسهموا في خدمة اللغة وتحليل بنيتها لاتصال عملهم باللغة كالبلاغيين وعلماء أصول الفقه والمفسرين وعلماء القراءات القرآنية . إن ما خلفه هؤلاء وأولئك يعكس بصراً في فهم لغتهم ثاقباً ورؤية في تناولها يمكن وصفها بالعلمية بكل ما يعنيه هذا المصطلح اليوم .

فقد نظر هؤلاء وأولئك إلى اللغة بوصفها نظاماً منضبطاً يتكون من وحدات ذات مواصفات خاصة (يحددها علم الصرف) وتتعالق هذه الوحدات داخل الجملة وتتلازم فينشأ عن هذا التلازم معنى نحويٌّ يتغير بتغير العلاقة التي تربط هذه الوحدات (ويتم ذلك طبقاً لضوابط علم النحو) . وحديث عبدالقاهر الجرجاني وأمثلته في نظرية النظم يدل دلالة واضحة على هذا الفهم [1] ، ويعقد علماء الوقف والابتداء فصلاً مهماً في ذلك يكشفون به عن أن فلسفة التلازم بين وحدات التركيب إنما تمثل وجهة نظر لغوية عامة عند العلماء العرب برغم أن الشائع هو أن فكرة التعليق جرجانية النسب . فإن جوهر الفكرة موجود عند غيره من العلماء ، ومنهم علماء الوقف والابتداء . وتتمثل فيما أسميته .. « بنظرية التلازم » عندهم . وإذا ارتضيت تقييد مصطلح التلازم بأنه : تعلق وحدتين لغويتين أو عنصرين نحويين بعضهما

---

(١) انظر دلائل الإعجاز القرآني ص ٦٤ .

ببعض ، أو أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصراً آخر ، وهو شكل من أشكال التضام (١) .

إذا ارتضيت التحديد السابق لمفهوم (التلازم) فإن ما يترتب على هذا التلازم من تأثير على وظيفة التركيب ودلالته يكمل تصورهم ويجعل فكرة علماء الوقف عن التلازم تلتقي مع فكرة التعليق الجرجانية ، وليس هذا إسقاطاً خاصاً على نصوصهم بل هو حقيقة ما قالوه نصاً ، وما مارسوه فعلاً ، وهم يعقدون هذا الباب .

فحين عقدوا باباً كاملاً ينبهون فيه إلى ضرورة التفات القارئ إلى الوحدات المتلازمة وأهمية التنبه لعدم جواز الفصل بينها لما يترتب على ذلك من اختلاف في العلاقات ، وتبدل في المعاني والدلالات . كانوا يضعون أيديهم على قيمة تركيبية هامة تلعبها مثل هذه العلاقات التركيبية Syntatic relations في التأثير على المعنى .

ونظراً لارتباط فكرة الوقف بفكرة التلازم ، لأن الوقف قطع أو فصل والتلازم ربط أو ضم ، فالوقف على موضع معين لابد ألا يتعارض مع قانون التلازم بحيث لا يقع بين متلازمين . يقول الأشموني : « اعلم أن كل كلمة تعلقت بما بعدها ، وما بعدها من تمامها لا يوقف عليها » (٢) .

وقد جاء نصّ ابن الأنباري في حصر المتلازمات واضحاً ، ومبرزاً الخلفية النحوية لقضية الوقف ، إذ الموضوع برمته ليس إلا إمكانية الفصل بين وحدات التركيب أو عدم إمكان ذلك . وهذا الفصل بين المتلازمات ليس

---

(١) انظر العربية معناها ومبناها ص ٢١٧ .

(٢) المنار ص ١٧ .

فصلاً لفظياً فحسب بل هو فصل ذو أثر مباشر على المعنى . فاللغة ليست مباني ترص ، بل مبان تتلازم وتتعالق وفق ضوابط منظمة لتؤدي معاني محددة يقول ابن الأنباري : (اعلم أنه لا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه ، ولا على المنعوت دون النعت ، ولا على الرافع دون المرفوع ، ولا على المرفوع دون الرافع ، ولا على المنصوب دون الناصب ، ولا على المؤكَّد دون التوكيد ، ولا على المنسوق دون ما نسقته عليه ، ولا على إن وأخواتها دون اسمها ، ولا على اسمها دون خبرها ، ولا على كان وليس وأصبح وأخواتهن دون اسمها ولا على اسمها دون خبرها ولا على ظننت وأخواتها دون الاسم ، ولا على الاسم دون الخبر ، ولا على المقطوع منه دون القطع [1] ، ولا على المستثنى دون المستثنى منه ، ولا على المفسر عنه دون التفسير [2] ، ولا على المترجم عنه دون المترجم [3] ، ولا على الذي وما ومن دون صلاتهن ، ولا على صلاتهن دون معربهن [4] . ولا على الفعل دون مصدره ، ولا على المصدر دون آلته ، ولا على حروف الاستفهام دون ما استفهم بها عنه ، ولا على حروف الجزاء دون الفعل الذي يليها ، ولا على الفعل الذي يليها دون جواب الجزاء ، فإن كان جواب الجزاء مقدماً لم يتم الوقف عليه دون الجزاء ، ولا على الأمر دون جوابه ، والفاء تنصب في جواب ستة أشياء ، في جواب الأمر والنهي والاستفهام والجحود والتمني والشكوك [5] ، لا يتم الوقف على هذه الستة دون الفاء ، ولا يتم الوقف على الأيمان دون جواباتها ، ولا على حيث دون ما بعدها ، ولا على أسماء الإشارة دون البعض ، ولا يتم الوقف على المصروف

(١) يقصد صاحب الحال والحال .

(٢) يقصد صاحب التمييز والتمييز .

(٣) يقصد المبدل منه والبدل .

(٤) يقصد رافع الإسم الموصول عندما يكون الأخير مبتدأ ، وهو الخبر عند الكوفيين .

(٥) يقصد بالشكوك الرجاء .

عنه دون الصرف [١] ، ولا على الجحد دون المجحود ، ولا على (لا) في النهي دون المجزوم ، ولا على (لا) إذا كانت بمعنى غير دون الذي بعدها ، ولا على (لا) إذا كانت تبرئة دون الذي بعدها ولا على (لا) إذا كانت توكيداً للكلام غير جحد ، ولا على (لا) إذا كان الحرف الذي قبلها عاملاً في الذي بعدها ، فإن كان غير عامل صلح للمضطر أن يقف عليه ، ولا يتم الكلام على الحكاية دون المحكي ، ولا على (قد وسوف ولما وإلا وثم) ؛ لأنهن حروف معان تقع الفائدة فيما بعدهن .

ولا يتم الوقف على (أو وبل ولكن) لأنهن حروف نسق يعطف ما بعدهن على ما قبلهن » [٢] ، وتتلخص عبارة الأشموني التي سبق نقلها هذا النصّ الطويل : (اعلم أن كل كلمة تعلقت بما بعدها ، وما بعدها من تمامها لا يوقف عليها » .

والذي دعاني إلى نقل نصّ ابن الأنباري هو أنه إيضاح مفصل لفكرة التلازم ، وعلى حين وقفت فكرة التعليق الجرجانية عند مستوى التنظير والإيضاح للفكرة من خلال طائفة من الأمثلة ، نجد أن نظرية التلازم بين الوحدات أخذت سبيلها إلى التطبيق العملي الكامل من خلال بيان مواضع

(١) الصرف في هذا السياق مصطلح كوفي مقصود به الإضراب والمخالفة ، ومثال ذلك حين نأتي بمضارع منصوب بعد عاطف ، ومسبوق بنفي أو طلب ، ولا يشارك ما بعد العاطف (المصروف) ما قبله (المصروف عنه) الحكم ، أي يخالف المعطوف المعطوف عليه الحكم ، مثل : لا تأكلْ السمكَ وتشربَ اللبن ، فالشرب لا يدخل مع الأكل في حكم النهي ، ومنه قوله تعالى : (ولما يعلمْ الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) فقوله : (ويعلمَ) مخالف لما قبله (لما يعلم) في حكم الجزم ، وبناء على ذلك لا يجوز الوقف على قوله (منكم) ؛ لأن قوله (ويعلم) متعلق بما قبله ، إذ الأخير منصوب على الصرف أو المخالفة لما قبله . انظر الإنصاف ٥٥٦ ، ومغني اللبيب ١ / ٣٦١ ومعاني القرآن ١ / ٣٣ - ٣٤ ، ٢٣٥ / ٢٣٦ وهامش إيضاح الوقف ١ / ١١٨ .

(٢) انظر إيضاح الوقف والابتداء ١١٦ / ١١٩ .

الوقف الجائزة وغير الجائزة على امتداد نصّ كامل هو النصّ القرآني . ففي الوقفين التام والكافي تنتفي العلاقة اللفظية ويجوز الوقف ، وقد توجد العلاقة اللفظية ويجوز الوقف متى استقام المعنى في الوقف الحسن ، ولا يكون ذلك التعلق اللفظي الذي يجوز معه الوقف إلا مع نوع من المتلازمات الأقل قوة ، وهو ما يعني أن التلازم بين الوحدات درجات متفاوتة في القوة ، ولا يجوز الوقف بين متلازمين من الدرجة الأولى في القوة ، ومن المتلازمات القوية : التلازم بين المضاف والمضاف إليه . والمبتدأ والخبر ، والصلة والموصول ، والناسخ والمنسوخ وهكذا . وهناك متلازمات أقل قوة كالبدل والمبدل منه ، المنسوق والمنسوق عليه ، النعت والمنعوت ... الخ . وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد ..

أعود إلى نصّ ابن الأنباري فأسجل عدداً من الملاحظات الهامة من وجهة نظر البحث ، وذلك على النحو التالي :

١- أنه بدأ المتلازمات . بالتلازم بين المضاف والمضاف إليه ، وهي بداية موفقة ، تعكس إدراكاً لقوة العلاقة بينهما ، إذ هما من أقوى المتلازمات ، أو هما كما يقول النحاة كالحرف الواحد ، فالمعنى لا يتم إلا بهما ، وهو تلازم لا يمكن فصل عنصريه دون أن يضيع المعنى أو يفسد . وقد ختم المتلازمات بالتلازم بين المعطوف عليه والمعطوف ، وسيتبين بعد قليل أن قوة التلازم بينهما من النوع الثاني الأقل قوة ، وهو ما يعني أنه يدرك أن المتلازمات صنفان . قوي بدأ به ، وآخر أقل قوة ، وختم به المتلازمات . وبرغم هذه الملاحظة العامة فإننا نجده قد ثنى عرضه بالتلازم بين النعت والمنعوت ، وهي علاقة أقل قوة وتنتمي إلى

النوع الثاني ، وقد حشرها بين طائفة من المتلازمات القوية ، أو السلسلة البنيوية المتينة ، ومن بينها المضاف والمضاف إليه ، المسند والمسند إليه (الرافع والمرفوع والمرفوع والرافع) ... الخ ، وكان المنطق يقتضي أن يتابع ذكر المتلازمات القوية ويتبعها بالأقل قوة .

٢- أنه كان يفصل في ذكر بعض المتلازمات تفصيلاً ، ويغفل ذكر بعضها تماماً على غير نظام دقيق ، وتلك أمثلة على ذلك :

أ- قوله : « والفاء تنصب في جواب ستة أشياء ، والعدد هنا غير دقيق ، حيث ذكر فيه بعض أنواع الطلب دون بعض ، فالتحضيض والعرض من الأنواع التي لم يذكرها ، ولها نفس الحكم ... والفاء لا مشاحة تنصب في جوابهما من ذلك في التحضيض قوله تعالى : ﴿ لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدقَ وأكونَ من الصالحين ﴾ ، وهو كغيره من الأنواع يتلازم ما بعد الفاء مع ما قبلها ، ومن ذلك في العرض قول الشاعر .

يا ابن الكرام ألا تدنوا فتبصرَ ما قد حدثوك فما راءٍ كمن سمعاً

فالفعل تبصر منصوب بعد الفاء ، والتلازم في المعنى واضح ، ومعه لا يجوز الفصل بين تدنو من جانب وتبصر من جانب ثانٍ .

ب- ومن التفصيل في بعض النماذج وإغفال البعض الآخر قوله (ولا على كان وليس وأصبح ولم يزل وأخواتهن دون اسمها) ولماذا هذه ذكرت ، وتلك أجملت ؟ لا أدري . ألا قال كان وأخواتها فأجمل وأغنى قوله .. وفصَّل الحديث في الحرف (لا) تفصيلاً ، ولم يذكر حروفاً أخرى كثيرة لها هذا التنوع في المعاني والوظائف ويتعلق ما بعدها مع ما قبلها لفظاً ومعنى ويدخل في ذلك جل حروف المعاني ، وتجده يعدِّد بعض حروف النسق دون

بعض ، ومما أغفل ذكره ، وهو من المتلازمات القوية الجار والمجرور ، مع أن الفصل بينهما بالوقف قبيح بإجماع .

٣- ملاحظة ثالثة وأخيرة أن أحكام الوقف بين المتلازمات يختلف من نوع لآخر فتارة يكون الوقف بين المتلازمات قبيحاً لأنه يفسد المعنى ، وتارة يكون غير تام ، وهو مصطلح عندهم يفهم منه أن المعنى لا يفسد، ولكنه غير مكتمل . وهي درجة بين الوقف الحسن الجائز والقبيح غير المسموح به . وقد ساعد ذلك على التمييز بين صنفين من المتلازمات . الأول هو المتلازمات القوية والتي يعد الوقف بين عنصريها وقفاً قبيحاً ، والمتلازمات الأقل قوة ، والتي يكون الوقف بين عنصريها غير تام . فمن المتلازمات القوية ما يلي [1] :

أ-١ الفصل بين المضاف والمضاف إليه مثل :

- صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة « [البقرة ١٣٨] – الوقف على (الصبغة) الأولى قبيح .
- وتمت كلمة ربك الحسنى « [الأعراف ١٣٧] . الوقف على (كلمة) قبيح

أ-٢ الفصل بين الرافع والمرفوع مثل :

- قال الله « [المائدة ١١٦] — الوقف على (قال) قبيح .
- وإذا ابتلى إبراهيم ربه « [البقرة ١٢٤] — الوقف على (ابتلى) قبيح .

أ-٣ الوقوف على المرفوع دون الرافع مثل :

---

(١) الأمثلة هنا من أمثلة ابن الأنباري ، وكذلك أحكام الوقف بين المتلازمين من أحكامه ، ولا تكاد تخالف أحكام غيره في نفس المواضع .

« الحمد لله رب العالمين » [الفاتحة ٢] الوقف على (الحمد) قبيح [١] .

« الله خالق كل شيء » [الرعد ١٦] الوقف على (الله) قبيح .

أ-٤- الوقف على الموصول دون الصلة مثل :

« قال الذين يظنون » [البقرة ٢٤٩] الوقف على (الذين) قبيح .

« أفرأيت الذي تولى » [النجم ٣٣] الوقف على (الذي) قبيح .

أ-٥- الوقف على الناسخ دون اسمه وخبره مثل :

« إن إبراهيم لحليم أوّاه منيب » [هود ٧٥] الوقف على (إن) قبيح .
والوقف على (إبراهيم) قبيح .

« إن ربهم بهم يومئذ لخبير » [العاديات ١١] الوقف على (إن) قبيح .
والوقف على (ربهم) قبيح [٢] .

« وكان الله غفوراً رحيماً » [الفرقان ٧] الوقف على (وكان) قبيح .
والوقف على (الله) قبيح .

أ-٦- الوقف على أدوات الشرط والاستفهام ، والجحد والنصب والجزم دون معمولاتها [٣] مثل :

---

(١) بناء على رأي الكوفيين فإن المبتدأ مرفوع بالخبر ، فـ (الحمد) مرفوع لا يفصل من الرافع (لله) على هذا الرأي . أما البصريون فيرون أن المبتدأ مرفوع بالابتداء ، فهذا المثال طبقاً لرأي البصريين يدخل في الفرع السابق أي الفصل بين الرافع (الحمد) والمرفوع (لله) إذ الخبر مرفوع بالابتداء .

(٢) ذكر ابن الأنباري أن الوقف على (إن) و (ربهم) غير تام ، وهو يخالف بذلك ما ذكره في المثال السابق [هود ٧٥] ، وفي كل أمثلة الفصل بين الناسخ ومنسوخيه انظر إيضاح الوقف ص ١٢٦ ، حيث إن الفصل في هذين الموضعين قبيح لا مشاحة .

(٣) وأضيف هنا (وأدوات الجر كذلك) .

« إن يأت الأحزاب » [الأحزاب ٢٠] الوقف على (إن) قبيح .

« كيف نكلم من كان في المهد صبياً » [مريم ٢٩] الوقف على (كيف) قبيح .

« ما قلت لهم إلا ما أمرتني به » [المائدة ١١٧] الوقف على (ما) قبيح (١) .

« ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه » [البقرة ١ ، ٢] الوقف على (لا) قبيح .

« لئلا يعلم أهل الكتاب » [الحديد ٢٩] الوقف على (لئلا) قبيح .

« وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض » [البقرة ١١] الوقف على (لا) قبيح .

أ-٧- الوقف على المميز دون التمييز مثل :

« ملء الأرض ذهباً » [آل عمران ٩٢] الوقف على (الأرض) قبيح .

« فإن طبن عن شيء منه نفساً » [النساء ٤] الوقف على «شيء منه» قبيح .

« فكلي واشربي وقري عيناً » [مريم ٢٦] الوقف على (قري) قبيح .

المجموعة السابقة تمثل طائفة المتلازمات القوية التي يعد الفصل بين جزءيها مفسداً للعلاقة الحميمة بين عنصرين تركيبين شديدي التلازم الأمر الذي يترتب عليه إفساد المعنى نتيجة لاختلال الوظيفة التي يتحول إليها كل ركن نتيجة للفصل ، ولهذا وجدنا الحكم على هذا الفصل أو الوقف هو القبح في كل المواضع السابقة .

وقد تردد ابن الأنباري بين إيراد الحال مع أمثلة الوقف القبيح التي جمعتها في الطائفة السابقة وبين ذكره مع أمثلة غير تام ، وهي التي وضعتها في الطائفة الثانية ، من ذلك قوله :

(وله الدين واصباً) [النحل ٥٢] ، الوقف على (الدين) غير تام لأن (واصباً) قطع منه . وبعد ذلك مباشرة يقول : في قوله تعالى : ﴿ يا أيها

---

(١) العرب تجحد بـ (ما ولا وليس وإن ولم وإن الخفيفة) الإيضاح ١٣٩ .

الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ﴾ [الممتحنة ١٠] الوقف على (المؤمنات) قبيح لأن (مهاجرات) في موضع نصب على القطع من المؤمنات[1] .

فهل الفصل بين صاحب الحال والحال قبيح أم غير تام ؟

الرأي الذي أستريح له أن الفصل بين صاحب الحال والحال غير تام لسببين :

الأول : أن الحال فضلة ، وهي ليست من ركني الجملة الأساسيين . والمعنى لا يفسد بالفصل ، وإنما يظل غير مكتمل . وذكر التمييز مع الطائفة السابقة لا يدحض ذلك لأن الفصل بين المميز والتمييز يؤدي إلى الغموض والإبهام ، وهو عنصر دلالي تتحاشاه أحكام الوقف التي تستهدف أصلاً إظهار المعنى وإبانته .

الثاني: أنه من المنصوبات ، وكل التوابع والفضلات المنصوبة يطرد الحكم بالوقف على ما قبلها بأنه وقف غير تام ، وهو ما سيتضح من أمثلة المجموعة التالية .

ب- الطائفة الثانية : وقد قام البحث بضم الأمثلة التي يكون حكم الوقف بين المتلازمين هو (غير تام) في مجموعة ثانية تمثل المتلازمات الأقل قوة . وسوف يتضح من استعراض أمثلة هذه الطائفة أنها تضم المتلازمات من العناصر النحوية المكملة لركني الجملة الأساسيين . فعدم ذكر الصفة أو المستثنى أو المفعول أو التوكيد أو البدل أو المعطوف .. الخ لا يفسد

---

(١) انظر إيضاح الوقف ١ / ١٣٠ .

المعنى أو يحيله ، بل يجعله ناقصاً غير مكتمل فحسب ، وليس الفصل بين المسند والمسند إليه في درجة الفصل بين الصفة والموصوف أو الفعل ومفعوله مثلاً . ولهذا كان حكم الفصل بين العناصر النحوية الأكثر تلازماً هو القبح على حين أن الفصل بين العناصر النحوية الأقل تلازماً هو (غير تام) كما في أمثلة المجموعة الثانية ، ومن نماذجها :

ب-١- الوقف بين النعت والمنعوت مثل :

- (الحمد لله رب العالمين) [الفاتحة ٢] الوقف على (لله) غير تام .
- (وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) [البقرة ٢٦ / ٢٧] الوقف على (الفاسقين) غير تام .

ب-٢- الفصل بين المستثنى منه والمستثنى مثل :

(إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا) [العصر ٢ / ٣]
الوقف على (خسر) غير تام .
(لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً) [النساء ٨٣] . الوقف على (الشيطان) غير تام .

ب-٣- الوقف على المبدل منه دون البدل . مثل :

(وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم) [الصافات ١٢٥ / ١٢٦]
الوقف على (الخالقين) غير تام .
(اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) [الفاتحة ٦] .
الوقف على (المستقيم) غير تام .

ب-٤- الوقف على الناصب دون المنصوب

(ونادى نوح ابنه) [هود ٤٢] – الوقف على (نوح) غير تام .

(وإذا ابتلى إبراهيم ربه) [البقرة ١٢٤] – الوقف على (ابتلى) غير تام [1] .

ب-٥- الفصل بين المؤكَّد وبين التوكيد مثل :

(فسجد الملائكة كلهم أجمعون) [ص ٧٣] الوقف على (الملائكة) غير تام .

(فوربك لأغوينهم أجمعين) [ص ٨٢] الوقف على (لأغوينهم) غير تام .

ب-٦- الوقف على المنسوق دون ما نسقته عليه .

(وسخر لكم الليل والنهار) [النحل١٢] الوقف على (الليل) غير تام .

(يسجد له من في السموات ومن في الأرض) [الحج١٨] –

الوقف على (السموات) غير تام .

ب-٧- الوقف على القسم دون المقسم به مثل :

(والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) [الضحى ١ / ٢]

الوقف على (سجى) غير تام .

(والعصر إن الإنسان لفي خسر) [العصر] – الوقف على (العصر) غير تام

---

(١) سبق أن قدَّم مثال : (وإذا ابتلى إبراهيم ربه) [أ-٢] عند الحديث عن الفصل بين الرافع والمرفوع ، وفي حينه قال ابن الأنباري إن الوقف على (ابتلى) قبيح ، لأن (الرب) مرفوع به . [انظر إيضاح الوقف ١٢١] . وهنا في الفصل بين الناصب والمنصوب يقول عن نفس المثال : (إن الوقف على (ابتلى) غير تام لأن (إبراهيم منصوب به) [إيضاح الوقف ١٢٣] وهذا تناقض ظاهر ، فلا يمكن أن يكون الوقف على موضع بعينه قبيحاً وغير تام ، حتى لو كان الحكمان باعتبارين مختلفين . والرأي عندي في هذا المثال خاصة أن الوقف على (ابتلى) قبيح لأن فيه فصلاً بين الفعل أو الرافع من جانب وبين المفعول المقدم والفاعل المؤخر (أو المنصوب والمرفوع معاً) من جانب آخر ، وهو أدعى للحكم بالقبح لكونه أكثر إفساداً للعلاقات النحوية ، وأكثر إخلالاً بالمعنى من مجرد الفصل بين الرافع والمرفوع وحده الذي يحكم له بالقبح بإجماع .

ب-٨- وأخيراً الفصل بين حروف المعاني وما يليها . مثل :

(كلاّ سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) [التكاثر ٤ / ٤] الوقف على (سوف) غير تام لأنها تصرف معنى ما قبلها إلى الاستقبال والفائدة فيما بعدها .

- (فلما تبين أنه عدوٌ لله تبرأ منه) [التوبة ١١٤] الوقف على (فلما) غير تام لأنها مع الفعل الذي بعدها بمنزلة شيء واحد .

- (ألا إنهم هم المفسدون) [البقرة ١٢] الوقف على (ألا) غير تام لأن (ألا) افتتاح الكلام .

- (والسماوات مطويات بيمينه) [الزمر ٦٧] الوقف على (مطويات) غير تام لأن (بيمينه) صلة متعلقة بمطويات ، ولا يتم معنى الموصول دون ما وصل به .

ومن ذلك أيضاً (وبالآخرة هم يوقنون) [البقرة ٤] الوقف على (بالآخرة) غير تام لأن الباء من صلة (يوقنون) (١) .

مما سبق يمكن القول : إن فكرة التلازم تمثل وجهة نظر لغوية عامة عند علماء العربية عامة ، والوقف خاصة ، وهي فرضية علمية ترى أن الوحدات داخل التركيب تربطها علاقات وظيفية متنوعة ، ومن بينها علاقة التلازم بين عنصرين نحويين في المبنى والمعنى . وأن الفصل بالوقف بين هذين العنصرين المتلازمين يؤثر على الوظيفة النحوية والدلالة التركيبية معاً تأثيراً تحدده طبيعة العلاقة بين المتلازمين ، فكلما كانت العلاقة قوية أصبح الفصل

---

(١) انظر إيضاح الوقف ١ / ١٤٨ / ١٤٩ .

قبيحاً ، وإذا كانت العلاقة بينهما أقل قوة حكم على الوقف بكونه غير تام . وقد فصل البحث بين نماذج المتلازمات القوية من جانب والأخرى الخاصة بالمتلازمات الأقل قوة من خلال الأحكام التي أوردوها لكل نوع منها فتبين أن المتلازمات القوية تضم العناصر التركيبية الأساسية كالمسند والمسند إليه ، والعناصر الثنائية التي هي في درجة عنصر واحد ، كالمضاف والمضاف إليه ، الصلة والموصول ، وألحق بذلك عنصران يؤدي الفصل بينهما إلى إبهام وغموض وهما المميز والتمييز .

أما الطائفة الثانية فتشترك في الحكم العام (غير تام) وتضم العناصر التركيبية المعروفة بالتوابع والفضلات أو المكملات كالنعت والمنعوت ، صاحب الحال والحال ، المؤكد والتوكيد ، المبدل منه والبدل ، الفعل والمفعول ، المستثنى منه والمستثنى ، الأدوات المختلفة ، وما تعلقت به .. الخ .

والمتتبع لإشكالية الوقف والابتداء سيتبين أن نظرية التلازم بين الوحدات تمثل محوراً أساسياً يحكم كل قواعد الوقف والابتداء ، ويبرز أن ظاهرة الوقف تتعلق إن جوازاً وإن منعاً بقانون العلاقة بين وحدات أو عناصر التركيب اللغوي ، وبدرجة قوة هذه العلاقة أو ضعفها تكون درجة الجواز أو المنع ، والأمر في مجمله مرتبط بما يترتب على هذه العلاقات أي : بصحة المعنى واستقامته فيجوز الوقف ، أو بعدم الصحة أو الخلل أو الفساد فيه فيمتنع الوقف .

الباب الثانى

أثر الوقف على الدلالة الركيبية

الفصل الأول : أثـــر الوقـف المبـاشـــر

الفصل الأول

أثر الوقف المباشر

يمثل الباب الثاني الشق التطبيقي الذي يعالج أثر الوقف على الدلالة التركيبية من خلال النصوص ، بعد أن سبق معالجة كل الإشكاليات النظرية المتعلقة بالبحث في الباب الأول .

وفي هذا القسم التطبيقي يتبين أن هذا الأثر يبدو في شكلين

الأول : أثر يرجع للوقف وحده بصرف النظر عن أية ظواهر تركيبية أخرى.

الثاني : أثر الوقف مع عدد آخر من الظواهر التركيبية .

ويتركز البحث في هذا الفصل على النقطة الأولى وحدها ، حيث يرصد البحث طائفة من الأمثلة ثم يسجل التغييرات التى تطرأ على الدلالة التركيبية إذا تغير موضع الوقف . وهذه الأمثلة هي مجرد عينة بحثية لاترصد كل أنواع التغيير التى تطرأ على دلالة التركيب بتغيير موضع الوقف ، بل تسجل البعض ليعكس نظائر أخرى مماثلة لم يرصدها البحث .

ومن الجدير بالتسجيل أن الدلالة التركيبية ، بوصفها -كما سبق القول - الدلالة أو المعنى الناشئ عن العلاقة بين وحدات التركيب ، والعلاقات التركيبية متنوعة والعوامل المؤثرة متنوعة كذلك ، ونادراً مايتحكم في توجيهها عامل واحد فقط . فالوقف مجرد عنصر من العناصر التي يمكن أن توجه دلالة التركيب ، لكن الغالب الأعم هو أن يشارك الوقفَ قرائنُ سياقية أخرى تلعب

نفس الدور في التأثير على دلالة التركيب ، وما أكثر ماتتضافر القرائن في توجيه المعنى وهذا هو الأصل . فالنبر والتنغيم يشاركان الوقف نفس الخاصية ، وكذلك قرائن السياق المتنوعة كالعلامة الإعرابية ، واختلاف نوع الصيغة ، واختلاف الوظيفة النحوية وقرينة الإسناد ، وقرينة الحذف ، وغيرها، الأمر الذي يفسر لنا الإيجاز هنا والتفصيل هناك في الفصلين القادمين ، حيث يتناول هذا الفصل أثر الوقف وحده على حين يتناول البحث في الفصلين القادمين أثر الوقف مع قرائن أخرى .

فمن الصور المختلفة لأثر الوقف وحده على الدلالة التركيبية مايلي :

أ - وقف يدفع توهم البدلية مثل :

أ - ١ - في قوله تعالى « وقولهم إناقتلنا المسيح عيسى بن مريم » [النساء١٥٧] هنا وقف ، ثم يبتدئ القارئ : (رسولَ الله) فوجود الوقف هنا يدفع توهم أن يكون (رسول) بدلاً من (المسيح) ؛ لأننا لوجعلنا لفظ (رسول) بدلاً لكان معنى هذا أن اليهود وهم أصحاب الضمير في (قولهم) يقرون بأن المسيح رسول الله ، وهم لم يقروا بذلك ، فاقتضى الأمر أن نقف لرفع هذا المعنى ، واعتبار لفظ (رسول) منصوباً بفعل محذوف تقديره (أعني) [١]

أ - ٢ - ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ [البقرة ٢٥٣] هنا وقف ، ثم يبتدئ القارئ : (منهم من كلم الله) فلو وصلنا الكلام لجاز اعتبار (منهم) بدلاً من قولهم (بعضهم) وهو مايعني أن من كلمهم الله أفضل ممن لم يكلمهم ، ودفعاً لهذا التوهم الذي ينشأ

(١) انظر المكتفي ٢٢٦ ومنار الهدى ص ١٢ ، ١٣ .

عن الوصل ، جاء الوقف على قوله : (على بعض) ، واعتبار (منهم من كلم الله) جملة استئنافية) مكونه من (منهم) شبه جمله مقدم ، و(من كلم الله) مبتدأ اسم موصول + جملة صلته (١) .

وبهذا لايفهم أى شكل من التفضيل لمن كلمهم الله على من لم يكلمهم ، وهو ماذهب إليه أكثر المفسرين والمعربين .

ب - وقف يدفع توهم المفعولية : -

ب - ١ - من ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : (ولايحزنك قولهم) [يونس ٦٥] هنا وقف ثم يبتدئ القارئ : (إن العزة لله) لئلايتوهم السامع أن قوله : (إن العزه لله) من مقولهم ، وعليه ترجح أن تكون جملة (إن العزه لله) استئنافية (٢) .

ب - ٢ - ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة) [المائدة٧٣] هنا وقف ثم يبتدئ القارئ : (ومامن من إله إلا إله واحد) لئلايتوهم السامع أن قوله (وما من إله إلا إله واحد) من مقول الذين كفروا ، على حين أن الوقف واعتبار مابعده جمله استئنافية للاضراب يدفع التوهم السابق (٣) .

ب - ٣ - ومن دفع توهم المفعولية أيضاً قول الحق سبحانه : (وقد كفروا بما

(١) - انظر البيان في غريب إعراب القرآن ١/١٦٧ ، والتبيان في إعراب القرآن ١/٢٠١ والنشر ١/٢٣٢ ، ومشكل إعراب القرآن ١/١٣٥ .

(٢) انظر النشر ١/٢٣٢ ، والتبيان ٢/٦٦٩ .

(٣) راجع التبيان ١/٤٥٣ والنشر ١/٢٣٢ .

جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم) [الممتحنة١] هنا وقف حسن للبيان ثم يبتدئ القارئ (أن تؤمنوا بالله) لأنه لو وصل لأوهم أن (أن تومنوا) مفعول به على التحذير من إياكم ، وهو لايريد أن يقول : إياكم أن تؤمنوا ؛ لأنه لايعقل أن يحذرهم من الإيمان بالله ، بل المعنى إما أن يكون [1] .

- يخرجون الرسول وإياكم ، لإيمانكم بالله . (أن تؤمنوا) في موضع المفعول لأجله . ويمكن أن يكون المعنى :

- يخرجون الرسول وإياكم ، لئلاتؤمنوا بالله . أي كراهة أن تؤمنوا بالله .

ب - ٤ - ومن ذلك أخيراً قول الحق سبحانة وتعالى : (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) [يس ٥٢] ثم يبتدئ القارئ : (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) لئلايتوهم السامع أن (هذا ...) من مقول الكافرين ، بل الوقف يفرق بين قول الكافرين ، وجواب الملائكة [2] .

جـ - وقف يدفع توهم الوصفية :

ج - ١ - ففي قوله تعالى : (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) [غافر٦] الوقف هنا تام ثم يبتدى القارئ : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به) [غافر٧] فالوقف على (أصحاب النار) يدفع توهم أن جمله (يحملون العرش) صفة لهم ، وهو معنى ظاهر الفساد . ويحملون العرش جمله استئنافية منقطعة عن ما قبلها [3] .

---

(١) راجع إيضاح الوقف ٩٣٢/٢ ، والمكتفى ٥٦٣ ، ومشكل مكي ٧٢٨/٢ ومعاني الفراء ١٤٩/٣ .

(٢) انظر القطع والائتناف ٩١)

(٣) راجع المكتفى ٤١٩ ، ومنار لهدى ٣٣٧ والنشر ٣٣٢/١ .

جـ - ٢ - ومن ذلك قوله تعالى : (ولاتدع مع الله إلهاً آخر) [القصص٨٨] ثم الابتداء بقوله : (لا إله إلا هو) لئلايوهم أن الجملة الأخيرة صفة لقوله (إلهاً آخر) .(١) حاشا لله أن يكون له شريك .

جـ - ٣ - ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : (خير من ألف شهر) (٢) [القدر٣] والابتداء بقوله : (تنزل الملائكة والروح فيها) [القدر ٤] لئلايوهم أن الجملة الأخيرة صفة للألف شهر على حين أن المعروف أن الضمير فى (فيها) عائد على ليلة القدر . وجمله (تتنزل) استئنافية .

د: وقف يدفع توهم الحالية مثل :

د. ١ - من ذلك قول الحق سبحانة وتعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين) [البقرة٨] هنا وقف كاف للبيان ، ثم يبتدئ القارئ : (يخادعون الله ...) [البقرة ٩] لأنه لو وصل الكلام لأوهم أن جملة (يخادعون) حال من الضمير (هم) وهذا يوجب نفى خداعهم .. والمعنى على إثبات الخداع ، والأفضل اعتبار جملة (يخادعون) استئنافية لامحل لها من الإعراب (٣) .

د. ٢ - ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : (ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً) [مريم٨٦] ثم يبتدئ القارئ (لايملكون الشفاعة) [مريم ٨٧] ويدفع القارئ بالوقف أن يتوهم السامع كون جملة (لايملكون) حال من (المجرمين) ويكون المعنى فى

(١) إنظر النشر ٢٣٣/١ .

(٢) السابق نفس الصفحة

(٣) انظر التبيان فى إعراب القرآن ٢٥/١ ، وإيضاح الوقف ٤٩٦/١ ، والبيان فى غريب إعراب القرآن ٥٤/١ ، والمشكل فى إعراب القرآن ٧٨/٧٧/١ .

ضوء الوقف إما : من اتخذ عند الرحمن عهداً فإنه يملك الشفاعة . أو لايملك الشفاعة غير من اتخذ عند الرحمن عهدا .(١)

د . ٢ – ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿وما كان لهم من أولياء﴾ [هود ٢٠] هنا وقف ثم يبتدئ القارئ (يضاعف لهم العذاب) [هود ٢٠] لئلا يوهم الحالية ، على حين أن جملة (يضاعف) مستأنفة بمعنى أولئك يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع. (٢)

هـ – وقف يدفع اللبس في عود الضمير من ذلك .

هـ – ١ – قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فأنزل سكينته عليه ﴾ [التوبة ٤٠] هنا وقف، ثم يبتدئ القارئ : ﴿ وأيده بجنود لم تروها ﴾ [نفس الآية] لئلا يلتبس الأمر فيفهم السامع أن الضمير في قوله (عليه) هو الضمير في قوله (وأيده) على حين أن الضمير في القول الأول يعود على أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، والضمير في قوله (وأيده) يعود على الرسول عليه الصلاة والسلام ، فحسن الوقت دفعاً لما يمكن أن يقع بين الضميرين من لبس . (٣)

هـ – ٢ – ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانة وتعالى : ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه ﴾ [الفتح٩] هنا وقف بيان ، ثم يبتدى القارئ : ﴿ وتسبحوه

---

(١) راجع معاني الزجاج ٣/٣٤٦ ، ومعاني الفراء ٢/١٧٢ ، والنشر ١/٢٣٣ ومنار الهدى ٢٣٣ .

(٢) انظر النشر ١/٢٣٣ / والتبيان ٢/٦٩٣ ، ومعاني الزجاج ٣/٤٥ ومعاني الفراء ٢/٨ .

(٣) انظر التبيان ٢/٦٤٤،٦٤٥ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/٤٠٠ والمشكل في إعراب القرآن ١/٣٢٩ والمكتفي ٢٩٢ .

بكرة وأصيلاً ﴾ فالوقف يفصل بين الضمير فى قوله (وتوقروه) الذى يعود على النبى عليه الصلاة والسلام ، والضمير فى قوله (وتسبحوه) الذى يعود على الحق سبحانه وتعالى ، ولو وصلنا ، لالتبس عود الضمير فى قوله (وتسبحوه) هل يعود على القريب وهو الرسول أم على السابق الأول وهو الله ، وبالوقف ندفع هذا اللبس ، وندرك أن الضمير فى (وتوقروه) يعود على غير ما يعود عليه الضمير فى (وتسبحوه) .[1]

ز - وقف يدفع توهم المشاركة فى الحكم أو العامل من ذلك :

ز - ١ - قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إن الذين جاءوك بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه شراً بل هو خيرلكم ، لكل امرئ منهم مااكتسب من الإثم ﴾ [النور ١١] هنا وقف بيان ثم يبتدئ القارئ ﴿ والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ فلو وصلنا الكلام ﴿ لكل امرئ منهم مااكتسب من الإثم والذى تولى كبره منكم ... ﴾ لسوينا فى الحكم بين نوعين مختلفين النوع الأول بعض المؤمنين فى قوله (منهم) والنوع الثانى المنافق عبد الله بن أبى وهو المقصود بقوله (والذى) ولأن حكم الأولين يخالف حكم الأخير فقد جاء الوقف ليفصل بينهما دفعاً للتسوية بين من لايتفقون فى الحكم .[2]

ز - ٢ - ومن دفع توهم المشاركة فى العامل قول الحق سبحانه وتعالى :

---

(١) انظر المكتفى ٥٢٩ ، والنشر ٢٢٣/١ ، والمنار ٣٦٤ .

(٢) انظر المكتفى ١٥١ ، والمنار ٢٦٦ .

﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم ﴾ [المائدة ٢٧] هنا وقف ثم يبتدئ القارئ ﴿ إذ قربا قرباناً ﴾ فليس الظرف (إذ) معمولاً للفعل (واتل) لأن زمن التلاوة (عهد النبي عليه الصلاة والسلام) غير زمن التقريب (عهد ابني آدم) .

ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى ﴾ [البقرة ٢٤٦] هنا وقف ثم يبتدئ القارئ بقوله تعالى : ﴿ إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا ﴾ [البقرة ٢٤٦] لئلا يوهم الوصل أن عامل (إذ) هو الفعل (تر) علماً بأن زمن الرؤية ليس هو زمن القول.(١)

ح - وقف يدفع توهم العطف وهو قريب من غاية الوقف في النموذجين السابقين إذ العطف يفيد المشاركة ، والقطع يدفع معنى المشاركة ، ومن نماذج ذلك :

ح - ١ - قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ [الزمر ٣٢] هنا وقف ثم يبتدئ القارئ : ﴿ والذي جاء بالصدق .. ﴾ [الزمر ٣٣] لئلا يوهم مشاركة اللاحق (الذي) للسابق (الكافرين) في المصير . وقد مرّ من نماذج ذلك كثير في أمثلة الوقف القبيح .(٢)

مما سبق يتبين أن الوقف في بعض المواضع يؤدي إلى توجيه معنى التركيب وجهة معيّنة ، على حين أن الوصل يغير المعنى في نفس الموضع إلى وجهة أخرى ، وهو أثر ينشأ من تأثير الوقف مباشرة ، ومما هو جدير بالملاحظة في هذا المقام أن طائفة الأمثلة السابقة التي تبرز أثر الوقف وحده

---

(١) ومن ذلك أيضا الآية ٧١ من سورة يونس ، انظر التبيان ١/١٩٥ ، والنشر ٢٣٢ .

(٢) انظر المكتفى ١٤٨/١٥٤ ، والنشر ٢٣٢ ، والمنار ١٣ .

إنما تكون غالباً في حالة وقف لايفسد المعنى لأنه ليس بين وحدات شديدة التلازم، بل الوقف يدفع توهم علاقة بين متلازمين مما سماه البحث النوع الثاني أو الدرجة الثانية ، أي بدون الوقف تقوم علاقة بدلية أو وصفية أو حالية أو عطف أو عود ضمير أو مفعولية الخ . . وبالوقف تنتفي هذه العلاقة ، على حين أن الوقف لايمكن أن يقع بين متلازمين من الدرجة الأولى ، وتأثيره هنا إنما يكون تأثيراً سلبياً ، بمعنى أنه يفسد المعنى ، وهذا هو الأثر الذي يؤديه الوقف القبيح . حين يقع بين الفعل والفاعل أو الصلة والموصول أو المضاف ومما أضيف إليه أو المبتدأ والخبر .. الخ وقد سبق التمثيل له بما فيه الكفاية عند استعراض أنواع الوقف المختلفة في الفصل الثاني من الباب الأول .

وليس يعني الكلام السابق أن كل فصل بين متلازمين من النوع الثاني لايفسد به الكلام ، بل من الممكن أن يفسد المعنى في بعض حالات الفصل بين متلازمين من هذا النوع من ذلك قراءة قوله تعالى : فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) بالوقف على (للمصلين) وقفا يفصل بين الموصوف والصفة ، ومن ذلك قراءة قوله تعالى : (ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) بالوقف على قوله (الصلاة) وقفا يفصل بين صاحب الحال الواو في قوله (ولاتقربوا) وبين الحال (وأنتم سكارى) .

ولكن المقصود أن الوقف لنفي علاقة مفترضة بين متلازمين من الدرجة الثانية يمكن أن يوجه المعنى ، وبهذا يكون الأثر إيجابياً ، أي أن تأثير الوقف في هذه الحاله يكون بإظهار معنى وبيان دلالة ماكانت لتظهر مع الوصل ، بل يكون عدم الوقف مؤدياً لمعنى غير مقصود ، أما الوقف بين متلازمين من النوع الأول فإن أثره غالباً يكون سلبياً بمعنى أنه يفسد المعنى في أكثر الأحيان وقلما ينشأ عنه معنى إيجابي .

الفصل الثانى

اثر الوقف مع قرينة اخرى

الفصل الثاني

أثر الوقف مع قرينة أخرى

في الفصل السابق ركز البحث على أثر الوقف وحده على دلالة التركيب ، وهنا يعرض البحث لأثر الوقف ومعه قرينة أخرى ، وفي هذا الفصل يبدو التأثير على الدلالة من ناحيتين ، إحداهما الوقف . وكما أشار البحث في الفصل الخالف مباشرة فإنه من النادر أن يستقل الوقف وحده بالتأثير على الدلالة التركيبية ، فهو عنصر واحد فقط من العناصر المؤثرة ، وأغلب مايقابلنا الوقف مشاركاً مع عنصر أو أكثر من عنصر في هذا التأثير . الأمر الذي يبرز تنوع الأمثلة وكثرتها التي تكشف عن عمق الأثر الذي يلعبه الوقف حين تتضافر معه القرائن الأخرى . وقد قسم البحث هذه الأمثلة المتنوعة قسمين :

القســـم الأول : أثر الوقف ومعه قرينة أخرى

القسم الثاني : ماإجتمع فيه الوقف مع قرينتين فأكثر .

وعن نماذج القسم الأول ينصب التناول في هذا الفصل ، على حين يعالج الفصل الثالث و الأخير من هذا الباب أمثلة القسم الثاني .

وحين يرصد البحث عدداً من القرائن التي تتعاون مع الوقف في التأثير على المعنى فإن ذلك لايعني حصراً لكل القرائن من جانب ، كما لايعني أفضلية للقرائن التي ذكرت على غيرها مما لم يعرض له البحث من جانب ثان، بل الأمثلة هنا هي عينة تمثل هذا التعاون فحسب بين قرينة الوقف وكل قرائن السياق اللفظي منها والمعنوي على سواء . وتلك طائفة من الأمثلة تقفنا على تعاون قرينة الوقف مع قرينة أخرى .

١ - اجتماع الوقف مع قرينة العلامة الإعرابية .

من المعلوم أن العلامة الإعرابية هي رمز لغوي دال على وظيفة نحوية ، وهي واحدة من أخطر القرائن السياقية تأثيراً على دلالة التركيب ، فإذا تم استبدال حركة إعرابية بأخرى ، فإن ذلك يحمل إلينا دلالة معينة نفهم منها اختلاف الوظيفة النحوية التي تحملها الكلمة داخل التركيب ، وقد لاتتغير العلامة الإعرابية ومع هذا يمكن أن تختلف الدلالة الوظيفية لنفس الكلمة اعتماداً على قرينة أخرى . فتغير دلالة الكلمة وظيفياً يتأثر بالعلامة الإعرابية تأثيراً قوياً دون أن يعني هذا أنها القرينة الوحيدة التي تتحكم في تحديد هذه الدلالة وظيفياً وتركيبياً ، وقد تتعاون قرينة الوقف مع قرينة العلامة الإعرابية في هذا التأثير ، وتكشف الأمثلة التي تناولها البحث عن الكثرة التي تبرز خصوصية هذا التعاون ، لدرجة يمكن معها القول : إن العلامة الإعرابية من أكثر القرائن السياقية التي توجه دلالة التركيب بالتعاون مع قرينة الوقف .

ونحن نعلم أن أحد مظاهر الاختلاف بين القراءات القرآنية قد تمثل في اختلاف العلامة الإعرابية لكلمة ما . كأن يرفع أحدهم كلمة وينصبها آخر ، أو ينطقها أحدهم بحركة بناء وآخر بحركة إعراب ، وتبعاً لاختلاف الحركة تختلف الوظيفة النحوية للكلمة ويتغير معها معنى التركيب ، وقد يقف قارئ في موضع معين فيكون لذلك مع ضبط الكلمة ضبطاً معيناً معنى ، ومع ضبط آخر معنى مخالف ، وهو مايعني أن التأثير على المعنى يمكن أن يكون بمشاركة قرينتين الوقف من جانب واختلاف العلامة الإعرابية من جانب ثان .

وهنا يجمل استعراض أمثلة متنوعه من اختلاف الضبط واختلاف الوقف وما ترتب على ذلك من اختلاف المعنى . وذلك على النحو التالي :

أ - ١ - اختلاف حركة الفعل مع الوقف مثل :

١ - ١ - ١ - قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ياليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ﴾ [النساء٧٣] . ويقرأ الفعل (فأفوز) على وجهين :

الأول : بالرفع (فأفوزُ) وهنا يجوز الوقف على قوله (معهم) . واعتبار (فأفوز..) جمله استئنافية ، ويكون المعنى حينئذ : ياليتنى كنت معهم وفوزى يومئذ فوز عظيم .

ويمكن أن تكون قراءة الرفع (فأفوز) عطفاً على (كنت) على اعتبار أن كنت بمعنى أكون ، وفي هذه الحالة لايجوز الوقف على (كنت معهم) لئلاتفصل بين المعطوف عليه (كنت) وبين المعطوف (فأفوز) .

وفي ضوء التخريج الأخير فإن المعنى ، ياليتنى أكون معهم وأفوز يومئذ فوزاً عظيماً .

الوجه الثاني : (فأفوز) بالنصب واقعة في جواب التمنى ، وهو موضع ينصب فيه الفعل ، فلا يكفي الوقف على (كنت معهم) والتمام عند قوله (عظيماً) .[1]

والمعنى في ضوء هذا النصب وذلك الوقف هو : ياليتنى كنت معهم فأظفر بسبب وجودي معهم بالفوز العظيم .

---

(١) انظر القطع ٢٥٧ ، وإيضاح الوقف ٥٩٩ ، وتفسير القرطبي ٢٧٧/٥ ومعاني القراء ٢٧٦/١ ، والمكتفى ٢٢٢ ، والكشاف ٢٤٢ ، ومعاني الزجاج ٧٦/٢ ، البيان ٢٥٩/١ ، وإعراب النحاس ٤٢٤/١ ، ومشكل مكي ٢٠٢/١ .

١ - ١ - ٢ - ففي قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ويذهبْ غيظ قلوبهم ويتوبَ الله على من يشاء ﴾ [التوبة ١٥] . تقرأ هذه الآية على وجهين :

الوجه الأول : ﴿ ويذهبْ غيظ قلوبهم ﴾ هنا وقف ، ثم يبتدأ بقوله : (ويتوبُ الله على من يشاء) برفع (يتوبُ) على الاستئناف .

ويكون معنى الآية في ضوء ذلك : ويذهب غيظ قلوبهم ، والله يتوب على من يشاء .

الوجه الثاني : ﴿ ويذهب غيظ قلوبهم ويتوبَ الله على من يشاء ﴾ بنصب الفعل (يتوبَ) وهذا النصب إما على الصرف (أى الخلاف) ، إذحكم (يعذبهم ، ويخزهم) [١٤] (عقاب) وهو خلاف حكم (يتوب) الذى هو (مثوبة) . أو يكون نصب (يتوب) على إضمار أن محذوفة قبل الفعل ، وفي الحالين لايوقف على قلوبهم ، والتمام عند قوله تعالى : (والله عليم حكيم) .(١)

والمعنى في ضوء الوجه الثاني هو : قاتلوهم يعذبهم الله ويخزهم ، على حين يتوب على من يشاء .

١ - ١ - ٣ - وفي قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قال ربي : إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولاينطلق لساني ﴾ [الشعراء١٣] . تقرأ هذه الآية على وجهين :

الوجه الأول : ﴿ قال ربي : إني أخاف أن يكذبون ﴾ هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : ﴿ ويضيقُ صدرى ولاينطلق لساني ﴾ برفع الفعل (يضيق)

(١) انظر إيضاح الوقف ٦٩١ ، ومعاني الفراء ٤٢٦/١ ، والقطع ٣٦٠ ومعاني الزجاج ٤٣٦/٢ . والمحتسب ٢٨٤/١ .

وحين يكون الفعل مرفوعاً فثمة تخريجان :

أ - أن يكون الرفع على الاستئناف ، وهنا يجوز الوقف على (يكذبون) . ويكون المعنى في ضوء ذلك : إني أخاف أن يكذبون ، ومن أجل ذلك يضيق صدري ولاينطلق لساني .

ب - أن يكون الرفع عطفاً على (أخاف) فلايوقف على (يكذبون) ويكون المعنى : إني أخاف ويضيق صدري ولاينطلق لساني لتكذيبهم لي .

الوجه الثاني : يقرأ الفعل منصوباً ﴿ قال ربي إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولاينطلق لساني ﴾ وذلك عطفاً على (أن يكذبون) المنصوبة لئلاتفصل بين المنسوق عليه و المنسوق .[1]

وفي ضوء القراءة الثانية يكون المعنى : إني أخاف أن يكذبوني ، وأخاف أن يضيق صدري ، ولاينطلق السانى .

١ - ٢ - اختلاف حركة الاسم مع الوقف :

واختلاف الحركة يشمل تنوع في القراءة يرجع لاختلاف الحركة الإعرابية للاسم ، مع تنوع واختلاف الوقف من جانب والمعنى تبعاً لذلك من جانب آخر .

١ - ٢ - أ - فمن تنوع حركة الاسم بين الرفع والجر قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين اتقوا عند ربهم جنات

---

(١) راجع إيضاح الوقف ٨١٢ ، ومعاني القراء ٢/٢٧٨ وتفسير القرطبي ٩٢/٢ والقطع ٥٢٨ .

تجري من تحتها الأنهار ﴾ [آل عمران ١٥]

تقرأ الآية السابقة على وجهين :

الأول : ﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين اتقوا عند ربهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ﴾ بجر كلمة (جناتٍ) على اعتبار أنها بدل من كلمة (بخير) وحتى لاتنفصل بين المبدل منه والبدل فلايجوز الوقف على (من ذلكم) ، بل الوقف على قوله : (الأنهار) . (١)

والمعنى في ضوء القراءة السابقة : قل : هل أخبركم بخير أفضل من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وغيرها من الشهوات التي تشغلكم ، جناتٍ تجري من تحتها الأنهار .

والملمح الدلالي البارز في هذا الوجه هو التركيز على أفضلية ماينتظر المتقين على مايشغلهم .

الوجه الثاني : ﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ﴾ هنا وقف ، ثـــم يبتدأ بقـوله : ﴿ للذين اتقوا عند ربهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار ﴾ برفع (جناتٌ)

---

(١) يرى الفراء : أن ذلك غير جائز لأن اللام في (للذين) حالت بين (جنات) وبين بخير ، وتبعاً لذلك لايجوز إضمار خافض ، ولو قدمت (جنات) ولم تفصل عن (بخير) بفاصل لجاز الجر مثل : (بخير من ذلكم جناتٍ للذين اتقوا) هنا يجوز الخفض ، ويجوز النصب على معنى تكرير الفعل بإسقاط الباء . كما قال الشاعر :

أتيت بعبد الله في القِدِّ موثقاً   فهلا سعيداً ذا الخيانة والغدرا

أي هلا بسعيد . انظر: معاني الفراء ١٩٦/١ ، ومعاني الأخفش ١٩٨/١ والكشاف ٤١٦/١ . وإيضاح الوقف ٥٧٦ والقرطبي ٢٥/٢ ، والمشكل ١٠١/١ والرازي ١٧٣/٧ والبحر المحيط ٥٥/٢ ، النسفي ١٦٦/١ .

على اعتبار أن : للذين : جار ومجرور شبه جملة خبر مقدم

جنات : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

والمعنى في ضوء التخريج السابق : هل أنبئكم عن خير مما يشغلكم ، للمتقين جنات تجري من تحتها الأنهار .

والملمح الدلالي المميز لهذا الوجه : أن للمتقين جنات مخصصة لهم وحدهم ، وهو مظهر تميز المتقين .

وتقرأ كلمة (جناتٌ) بالرفع لكن على اعتبار أن (جنات) خبر لمبتدأ محذوف تقديرة ذلكم جنات ، أو هو جنات ، وذلك يماثل قوله تعالى : ﴿ بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ ﴾ . [1]

والمعنى في ضوء هذا التخريج : قل هل أنبئكم عما أعد للمتقين عند ربهم وهو أفضل مما يشغلهم ، ذلكم جنات تجري من تحتها الأنهار. [2]

ويتميز هذا الوجه دلالياً : بأن هناك جنات لامثيل لها (هي جنات) أعدت للمتقين ، فالتركيز هنا على عظمة الجنات التي أعدت لهم ، وبذلك يظهر الفرق بينها وبين الشهوات التي تشغل الناس في الدنيا . فالافضلية هنا هي لازم المعنى ، وليست المعنى المباشر في هذا التخريج .

وكما هو واضحَ فالحركة الإعرابية تتعاون مع الوقف في توجيه دلالة الآية من وجه الآخر

(١) راجع التبيان ٢٤٥/١ ، البيان ١٩٤/١ وتفسير الرازي ١٧٢/٧ والبحر المحيط ٥٥/٣ ، والنسفي ١١٦/١ .

(٢) راجع القطع ٢١٧ .

١ - ٢ - ب - ومن تنوع الاسم بين الرفع والنصب :

ب - ١ - قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ﴾ [الأعراف٢٦] تقرأ هذه الآية على وجهين :

الوجه الأول : ﴿ يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ﴾ هنا وقف ثم يبتدأ ﴿ ولباسُ التقوى ذلك خير ﴾ برفع كلمه (لباسُ) على الاستئناف . ويكون المعنى في ضوء هذا : يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً وريشاً يواري سوءاتكم ، وأما لباس التقوى فهو خير لصاحبه عند الله مما خلق له من لباس الثياب والرياش مما يتجمل به ، وأضيف اللباس إلى التقوى كما أضيف إلى الجوع في قوله : ﴿ ولباس الجوع ﴾ [النحل١١٢] .(١)

الوجه الثاني : ﴿ يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ﴾ بلاوقف على (ريشاً) ولباسَ بالنصب معطوفة على (ريشاً) ، و(ذلك) نعت أو بدل من (لباس) .(٢)

والمعنى على النصب واضح : أي أنزلنا عليكم لباساً وريشاً ولباس التقوى يواري سوءاتكم .

---

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات ١/٤٦٠-٤٦١ ، ومعاني الفراء ١/٣٧٥ ومعاني الأخفش ٢/٢٩٧ وإيضاح الوقف ٦٥٢ ، ومعاني الزجاج ٢/٣٢٨ ، والقطع ٣٣١ ، والمكتفى ٢٦٦ .

(٢) انظر التبيان ١/٦٢م.

ب - ٢ ومن ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ﴾ [مريم ٣٤] تقرأ هذه الآية على وجهين :

الوجه الأول :

(ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون) بضم (قولُ) على اعتبار أنها إما نعت لـ (عيسى) أو بدل منه ، ويترتب على ذلك عدم جواز الفصل بين (عيسى) وتابعه (قول) ولا وقف هنا على (ابن مريم) .

والمعنى : ذلك عيسى بن مريم المتصف بكونه قول الحق الذى فيه يمترون . ويمكن توجيه قراءة الرفع ، على اعتبار أن (قول) خبر لمبتدأ محذوف تقديره : (هذا الكلام) وفى ضوء ذلك يجوز الوقف على (ابن مريم) والابتداء بـ (قولُ) .

والمعنى على هذا : ذلك عيسى بن مريم ، هذا قول الحق الذى فيه يمترون .

الوجه الثانى :

(ذلك عيسى بن مريم) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : (قولَ الحق الذى فيه يمترون) بنصب (قولَ) . وحين ننصب (قولَ) فيكون ذلك إما :

١ - أنه منصوب على المصدر (أى مصدر مفعول مطلق لفعل محذوف) كأنه قال : أقول قولاً حقاً . والوقف يحسن على هذا الوجه .

والمعنى هنا : أقول قول الحق الذى فيه يمترون .

٢ - أن يعرب خبراً لـ (ذلك) مع إنزال ذلك منزله كان ، وهنا لا يحسن الوقف متعاً للفصل بين المبتدأ (ذلك) والخبر (قول)[١] .

والمعنى هنا : ذلك قول الحق الذى فيه يمترون . وهذا يماثل التخريج الثانى من قراءة الرفع من حيث قواعد الوقف ، ويقاربه فى المعنى أيضاً .

ب - ٣ : ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ﴾ [يونس ٢٣] حيث تقرأ هذه الآية على وجهين :

الأول :

(إنما بغيكم عِلى أنفسكم متاعُ الحياة الدنيا) برفع كلمة (متاعُ) .

وهنا نلاحظ :

١ - لا وقف على كلمة (أنفسكم) .

٢ - اعتبار كلمة (بغيكم) مبتدأ + (متاع) خبره ، و (على أنفسكم) متعلق بالمصدر (بغى) .

٣ - والمعنى على هذا التخريج : البغى متاع الحياة الدنيا . قيل : لأن عقوبته يعجل لصاحبها فى الدنيا ، كما قيل البغى مصرعه[٢] .

---

(١) انظر إيضاح الوقف ٧٦٣ ، ومعاني القراء ٢/١٦٧ ، ١٦٨ والقطع ٤٥٤ ، والمكتفى ٢٧٥ ، ومشكل مكى ٢/٨٨ ، ومعاني الزجاج ٣/٣٢٩ .

(٢) انظر القطع ٣٧٤ /٣٧٥ ، والبيان ١/١٩٤ ، وإعراب النحاس ١/٣١٥ ، ومشكل مكى ١/١٥١/١٥٢ ، والمكتفى ٣٠٥ ومعاني الزجاج ٣/١٤ .

وهناك تخريج آخر لقراءة الرفع على النحو التالي :

١ - يوقف على كلمة (أنفسكم) .

٢ - تتركب الآية من شقين :

- إنما بغيكم على أنفسكم : كافة ومكفوفة + مبتدأ + شبه جملة خبر .

- متاع الحياة الدنيا : خبر لمبتدأ محذوف تقديره (ذلك) + مضاف إليه + نعت .

والمعنى : في ضوء ذلك إنما بغيكم راجع ووباله عليكم ، أي بغي بعضكم على بعض عائد على أنفسكم ، وذلك هو متاع الدنيا [١] .

الوجه الثاني :

(إنما بغيكم على أنفسكم) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله (متاع الحياة الدنيا) بنصب (متاعَ) على أنها مفعول به لفعل محذوف تقديره تتمتعون متاع الحياة الدنيا .

والمعنى على هذا الوجه : إن بغيكم راجع ووباله عليكم ، تتمتعون به متاع الحياة الدنيا .

وهناك تخريج ثان لقراءة النصب : (إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) بنصب (متاعَ) وعدم الوقف علي (أنفسكم) ، واعتبار الآية مركبة من :

---

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات ١/٥١٦ ، والتبيان ٢/٦٧٠ .

إنما بغيكـــم : كافة ومكفوفة + مبتدأ + مضاف إليه .

على أنفسكم : جار ومجرور شبه جملة خبر المبتدأ + مضاف إليه .

متاع الحياة الدنيا : مفعول للمصدر (بغى) + مضاف إليه + نعت .

والمعنى : إن بغيكم متاعَ الحياة الدنيا راجع ووباله عليكم [1] أو : إن بغيَ بعضكم على بعض إنما هو من أجل متاع الحياة الدنيا .

ب – ٤ : ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم ، والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ، ومن قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ﴾ (النور ٥٨) يجوز في قراءة (ثلاث عورات لكم) وجهان من القراءة :

الأول :

(ثلاثُ عورات لكم) برفع (ثلاثُ) وهنا يوقف على ماقبلها (صلاة العشاء) ، وتتركب الآية بعد الوقف من :

ثلاث : خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هي) أو (ثلاث : مبتدأ + (لكم) خبر .

عورات : مضاف إليه + (لكم) نعت لـ (ثلاث) .

والمعنى : تلك ثلاث مرات هي عورة لكم . أو ثلاث مرات مخصصة لكم عورة .

(١) انظر المكتفى : ٣٠٥ ، ومعاني الفراء ٤٦١/١ ، وإيضاح الوقف ٧٠٥ والقرطبي ٣٢٦/٨ ، والطبري ٥٤/١٥ ، والتبيان ٦٧٠/٢ ومعاني الزجاج ١٤/٣ ، والكشف ٥١٦/١ .

الثاني :

(... ، والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاثَ مرات ، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاثَ عورات لكم) . دون وقف على (العشاء) و (ثلاثَ) هنا بالنصب على اعتبار أنها بدل من (ثلاث مرات) وقيل إنها منصوبه بفعل محذوف تقديره : أعني .

والمعنى : ليستأذنكم أوقات ثلاث عورات [1] الذين لم يبلغوا الحلم .

ب - ٥ : ومن ذلك أخيراً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم متاعًا إلى الحول ﴾ (البقرة ٢٤٠) .

تقرأ الآية السابقة على وجهين :

الوجه الأول :

(والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصيةٌ لأزواجهم ..) برفع (وصيةٌ) . والوقف هنا على (لأزواجهم) وتتركب الآية في ضوء ذلك من :

الذين يتوفون منكم : مبتدأ + جملة صلة الموصول (فعل + فاعل) + جار ومجرور متعلق بالفعل .

ويذرون أزواجًا : واو (للحال) + جملة فعلية (فعل + فاعل + مفعول) حال من (الذين) .

وصية لأزواجهم : مبتدأ ثان + جار ومجرور شبه جملة خبر للمبتدأ الثاني والجملة خبر (الذين . ولايتم الوقف إلا على (لأزواجهم) كيلا تفصل المبتدأ عن الخبر .

(١) انظر إيضاح الوقف ٢/٨٠١-٨٠٢ ، والقطع ٥١٥-٥١٦ ، والمكتفى ٤١٢ ، ومشكل مكي ٢/١٤٣ ، ومعاني الفراء ٢/٢٦٠ وانظر التبيان ٢/٩٧٧ .

والمعنى : الذين يتوفون منكم تاركين أزواجاً وصية لأزواجهم . وهناك تخريج ثان لوجه الرفع (وصيةٌ) تكون فيه القراءة : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) هنا وقف ثم يبتدأ (وصيةٌ لأزواجهم) . وتتركب الآية من الذين يتوفون منكم : مبتدأ + جملة فعلية صلة + شبه جملة متعلقة بالفعل والخبر محذوف تقديره فيما وصفنا الذين يتوفون . أو فيما ذكرنا الذين يتوفون .

ويذرون أزواجاً : (واو) للحال + جملة في محل نصب حال . (فعل + فاعل + مفعول) .

وصيةٌ : مبتدأ + لأزواجهم (شبه جملة) خبر المبتدأ .

والمعنى : فيما ذكرنا الذين يتوفون منكم تاركين أزواجاً فعليهم وصية لأزواجهم .

الوجه الثاني :

من القراءة : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهم) بنصب (وصيةً) والوقف على (لأزواجهم) . وتكون وصية مفعولاً لفعل محذوف والتقدير : عليكم وصيةً بذلك أو أوصوا لهم وصية .

والمعنى على قراءة النصب : والذين يتوفون منكم تاركين أزواجاً فليوصوا وصية لأزواجهم(١) .

---

(١) راجع إيضاح الوقف ٥٢٣ ، ومعاني الفرّاء ١٥٦/١ ، والقرطبي : ١٤٩/٢ ، ومعاني الأخفش ١٨٧/١ ، ومعاني الزجاج ٣٢٦/١ ، والكشف ٢٩٩/١ ، والحجه للفارسي ٢٥٧/٢ ، والبيان ١٦٣/١ ، وإعراب النحاس ٢٧٤/١-٢٧٥ ، ومشكل مكي ١٣٢/١ والتبيان ١٩٢/١ .

١-٣-جـ وما اجتمع فيه ثلاث الحركات مع الوقف :

جـ - ١ : قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فالحق والحق أقول ﴾ [ص ٨٤]

قرئت هذه الآية بثلاث صور :

الأولى : نصبهما (فالحقَّ والحقَّ أقول) .

الثانية : رفع الأولى ونصب الثانية (فالحقُّ والحقَّ أقول) .

والثالثة : بجر الأولى ونصب الثانية : (فالحقِّ والحقَّ أقول).

ويترتب على كل ضبط منها مع مراعاة الوقف وعدمه الأحكام الخمسة التالية :

- موضعان فيهما وقف على النحو التالي :

جـ - ١ - ١ (فالحقَّ) ثم تقف وتبتدئ (والحقَّ أقول) بنصبهما .
وتتركب الآية مما يلي :

فالحقَّ : مفعول لفعل محذوف تقديره : قولوا أو استمعوا ، ثم وقف .

والحقَّ أقول : مفعول مقدم + فعله متأخر (أقول) .

والمعنى : قولوا الحق ولا أقول إلا الحق .

جـ - ١ - ٢ : (فالحقُّ) ثم تقف وتبتدئ : (والحقَّ أقول) برفع الأولى ونصب الثانية . وتتركب الآية من :

فالحـــــقُّ : خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : هو الحق أو أنا الحق .

والحق أقول : مفعول مقدم + عامله مؤخر .

والمعنـــــى : أنا الحق ولا أقول إلا الحق

ثلاثة مواضع لا وقف فيها على النحو التالي :

جـ - ١ - ٣ (فالحقَّ والحقَّ أقول) بنصبهما : ولاوقف .

فالحقَّ : مفعول منصوب بـ لأملأن (بعده) بمعنى حقًا لأملأن ، واقترن باللام والألف واللام وطرحهما سواء ، وهو بمنزلة قولك : حمداً لله والحمدَ لله[1] .

والحقَّ أقول : مفعول مقدم + عامله .

والمعنى : حقا لأملأن والحقَّ أقول[2] .

جـ - ١ - ٤ - (فالحقُّ والحقَّ أقول) برفع الأولى ونصب الثانية : وتتركب الآية مما يلي :

فالحـــــقُّ : مبتدأ وخبره بعد ذلك (لأملأن) . مثل عزمة صادقة لأملأن .

والحقَّ أقول : مفعول مقدم + عامله مؤخر .

والمعنـــــى : فالحقُّ لأملأن والحقَّ أقول .

جـ - ١ - ٥ : (فالحقِّ والحقَّ أقول) بجر الأولى ونصب الثانية : بلا وقف كذلك .

فالحقِّ : الفاء قامت مقام واو القسم ، أو هناك واو قسم مضمرة

(١) معاني الفراء : ٤١٢/٢ .

(٢) انظر إيضاح الوقف ، ٨٦٥ ، والقطع ٦١٦ ، ومعاني الزجاج ٣٤١/٤ ، والمكتفى ٤٨٥ ، ومشكل مكي ٢٢٤/٢ ، والتبيان ١١٠٧/٢ .

(والعرب تلقي الواو من القسم ويخفضونه ، سمعناهم يقولون : اللهِ لتفعلن ، فيقول المجيب : اللهِ لأفعلن ، لأن المعنى مستعمل والمستعمل يجوز فيه الحذف كما يقول القائل للرجل : كيف أصبحت ؟ فيقول : خيرٍ يريد بخيرٍ ، فلما كثرت في الكلام حذفت)(١) والحقُّ مقسم به مجرور لفظاً مرفوع محلاً ، لأملأن جواب القسم .

والحقُّ أقول : مفعول مقدم + عامله مؤخر .

والمعنـــــى : أقسم بالحق لأملأن ، والحقَّ أقول .

جـ - ٢ ومن اجتماع ثلاث الحركات مع الوقف كذلك واختلاف المعنى بتأثير القرينتين معاً : قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ﴾ [هود ٧١] . تقرأ هذه الآية على وجهين :

الوجه الأول :

(ويعقوبُ) بالرفع ويكون تركيب الآية :

ومن وراء : استئنافية + جار ومجرور خبر مقدم .

اسحق : مضاف لـ وراء .

يعقوب : مبتدأ مؤخر . وفي ضوء ذلك تكون القراءة : (فبشرناه باسحق) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : (ومن وراء اسحق يعقوبُ) .

والمعنى في ضوء ذلك : فبشرناه باسحق ، ويعقوب من وراء اسحق موهوب له .

---

(١) انظر معاني الفراء ٢/٤١٢ / ٤١٣ .

الوجه الثاني :

(يعقوبَ) بالنصب ، ويوجهها العلماء في حالة النصب على الأنحاء التالية :

أ) : (فبشرناه بإسحق ومن وراء اسحق يعقوبَ) وتنصب (يعقوب) على أنها مفعول لـ (فبشرناه) ولا وقف هنا لئلا نفصل بين الفعل والمفعول ، ويكون المعنى في ضوء ذلك : فبشرناه بإسحق ، وبشرناه بيعقوب من وراء اسحق . وهو ضعيف لأن المبشر به واحد فقط هو اسحق .

ب) (فبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوبَ) بلا وقف على اعتبار أن (يعقوبَ) منصوب عطفاً على محل (باسحق) ومحله النصب .

وذلك كقول الشاعر :

معاويَ إننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

فنصب الحديد بالعطف على موضع بالجبال وهو النصب [١] ، وكيلا نفصل بين المعطوف عليه (باسحق) والمعطوف (يعقوب) امتنع الوقف والمعنى في ضوء ذلك : فبشرناه باسحق ويعقوب من ورائه ، وهو ضعيف كسابقة لنفس السبب وهو أن المبشر به واحد والعطف يقتضي المشاركة في البشرى ، وهي مقصوره على اسحق دون يعقوب .

جـ) (فبشرناه باسحق) هنا وقف ثم يبتدأ بقولة : (ومن وراء اسحق يعقوبَ) . بنصب (يعقوب) بفعل محذوف تقديره : وهبنا .

---

(١) انظر البيان ٢/٢١ ، ومشكل مكي ١/٤٢٤ ، ٤٢٥ ومعاني الفراء ٢/٢٢٢ .

ويكون المعنى في ضوء ذلك : فبشرناه باسحق ، ووهبنا له يعقوب من وراثه .

د) (فبشرناه باسحق ، ومن وراء اسحق يعقوبَ) بجعل يعقوب مجروراً بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف معطوف على المجرور قبله (باسحق) والمعنى : فبشرناه باسحق ومن ورائه بيعقوب وثمة اعتراضان على هذا التخريج :

الاعتراض الأول : أنه ضعيف تركيبياً عند أهل العربية للفصل بين الجار في (باسحق) والمجرور (يعقوب) ، فلا يجوز مررت بزيدٍ وفي الدار عمرٍو وبناء على ذلك ، لايجوز الخفض في (يعقوب) إلا بإظهار الباء [١] .

الاعتراض الثاني : وقد سبق ذكره وهو أن المبشر به واحد فلا يستقيم المعنى بقولنا : وبشرناه بيعقوب [٢] .

١ - ٣ - د : ومما تنوعت فيه حركات الإعراب والبناء مع الوقف .

في قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولاجدال في الحج ﴾ [البقرة ١٩٧] .

في هذه الآية الكريمة نجد ثلاث قراءات مختلفة ووجه الاختلاف يتمثل في اختلاف الضبط الإعرابي لبعض الكلمات من جانب ، مع اختلاف حكم الوقف

(١) معاني القراء : ٢/٢ .
(٢) انظر السابق نفس الصفحة ومعاني الزجاج ٦٢/٣ ، والمكتفى ٣١٨ ، وإيضاح الوقف ٧١٥ ، والقطع ٣٩٢/٣٩٣ ، مشكل مكي ٣٦٩/١/٣٧٠ .

من وجه لآخر ، وترتب على الأمرين اختلاف دلالة الآية تبعًا لذلك . أما الأوجه الثلاث فهي :

الوجه الأول :

(فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ في الحج) هنا الوقف ، وتتركب الآية وفقا لهذا الضبط وذلك الوقف من :

لا رفث : نافيه للجنس + اسمها (مبني على الفتح في محل نصب) .

ولا فسوق : عاطف + لا مع اسمها (مبني على الفتح في محل نصب كذلك) .

ولا جدال : عاطف + لا مع اسمها (مبني على الفتح في محل نصب كذلك) .

في الحج : جار ومجرور خبر لا الأولى [1] ، والمكررة للتوكيد .

والمعنى في ضوء التخريج السابق : لا يجوز أيُّ رفثٍ ولا أي فسوق ولا أي جدال أثناء الحج ، ويكون النفي شاملاً كل نوع من ثلاثة الأنواع السابقة فهو نفس جنس [2] .

---

(١) « ويجوز أن تكون لا المكررة مستأنفة ، فيكون في الحج خبر (لاجدال) وخبر (لا) الأولى والثانية محذوف ، أي لا رفث في الحج ، ولا فسوق في الحج ، واستغنى عن ذلك بخبر الأخيرة » التبيان ١٦١/١ .

(٢) راجع في ذلك : إيضاح الوقف ٥٤٥ ، والكشف ٢٨٥/١/٢٨٦ ، والحجة ٢١٥/٢ والمكتفى ١٨٢ ، والقرطبي ٢٧٠/١/٢٧٢ ، والقطع ١٧٨/١٧٩ ، والرازي ١٧٩/٥ وإعراب النحاس ٢٤٥/١/٢٤٦ ، ومشكل مكي ١٢٢/١ ، والبيان ١٤٧/١ ، والتبيان ١٦١/١ .

الوجه الثاني :

(فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولاجدالٌ في الحج) هنا وقف ، وفي ضوء هذه القراءة تتركب الآية من :

فلا رفثٌ : لا : نافية تعمل عمل ليس + اسمها مرفوع .

ولا فسوقٌ : عاطف + لانافية + اسمها مرفوع كذلك فهو كالأول

ولا جدال : عاطف + لانافية + اسمها مرفوع كذلك فهو كالأول والثاني .

في الحج : جار ومجرور خبر (لا) الأولى ، والمكررة للتوكيد(١) .

والمعنى بناء على هذه القراءة : لايجوز الرفث ولا الفسوق ولا الجدال أثناء الحج دون أن يشمل ذلك كل أنواع الرفث أو الفسوق أو الجدال .

القراءة الثالثة : (فلا رفثٌ ولا فسوقٌ) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله تعالى : ﴿ولا جدالَ في الحج﴾ . ويكون تركيب الآية في ضوء هذه القراءة .

فلا رفثٌ : لا نافية تعمل عمل ليس + اسمها مرفوع .

ولا فسوقٌ : عاطف + لا نافية تعمل عمل ليس + اسمها مرفوع .

وخبر (لا) الأولى والثانية محذوف مفهوم مما يلي بعد وتقديره : في الحج .

ولاجدالَ : عاطف + لا نافية للجنس + اسمها مبني على الفتح في محل نصب .

---

(١) لاحظ الوجه الموجود في الهامش (١) السابق ص ١٢٤ .

في الحج : شبه جملة خبر (لا) الثالثة .

والمعنى في ضوء الوجه الثالث : لا يجوز الرفث ولا الفسوق في الحج ، دون أن يشمل ذلك كل أنواع الرفث وكل أنواع الفسوق . ويلاحظ أن الرفث : الجماع ، والفسوق : العصيان ، ولما كان نفى كل أنواعهما شاق ، جاء النفى غير شامل لكل أنواعها تخفيفاً ويسراً ، ولاجدال : ولا يجوز أى نوع من أنواع الجدال ، ويلاحظ أن الجدال : مماراة تؤدى إلى الغضب والإيذاء والإيحاش المفضى إلى العداوة والبغضاء ، الأمر الذى اقتضى أن يخصه الله – فى ضوء هذا التوجية – بمزيد الزجر والمبالغة فى النفى (١) .

وأياً ما ماكانت الحجة فى تأييد قراءة الجمهور بالنصب ، أو قراءة الجميع بالرفع ، أو قراءة رفع الرفث والفسوق ونصب الجدال وحدة ، فإن الذى يعنينا هنا أن هناك اختلافاً فى العلامة الإعرابية بين حركات الإعراب من جانب وأحكام الوقف مع كل وجه منها وجوداً وعدماً من جانب ثانٍ أفضى إلى اختلاف المعنى أو دلالة التركيب من وجه لآخر بتأثير قرينتين : العلامة الإعرابية والوقف معاً .

٣ - اجتماع الوقف مع قرينة الصيغة :

تعد قرينة الصيغة إحدى القرائن اللفظية التى تلعب دوراً أساسياً فى التأثير على المعنى فالفرق واضح بين أن يقال : قاتلوهم وأن يقال اقتلوهم .

الأولى تقتضى المشاركة ، والثانية لا تعنى ذلك ، وفى النص القرآنى قد

(١) راجع الكشف ١/٢٨٥/٢٨٦ ، والحجة ٢/٢١٥ ، والرازى ٥/١٧٩ ، والقرطبى ١/٢٧٠/٢٧٢ .

نجد الفرق بين قراءة وأخرى لآية بعينها متمثلا في استخدام صيغة معينة في وجه وصيغة أخرى في وجه آخر ، كأن تقرأ صيغة مبنية للمعلوم في قراءة ، وتقرأ نفس الصيغة مبنية للمجهول في قراءة أخرى ، وقد نجد صيغة تكلم في قراءة قد تحولت إلى غيبة أو خطاب في أخرى ، وقد نجد صيغة فعل في قراءة قد تحولت إلى صيغة مصدر ، أو صيغة اسم تحولت إلى صيغة حرف ، أو صيغة أمر قد تحولت إلى ماض ، وهذا يؤثر دون شك على المعنى ، وقد نجد الوقف يتدخل كقرينة أخرى تؤثر مع قرينة الصيغة في توجيه المعنى وجهة معينة بحسب وجه القراءة . وهذا ما نعرض له الآن .

٢ – الوقف مع صيغتي البناء للمعلوم والمجهول :

من ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ، وكان الله شاكراً عليماً ﴾ [النساء ١٤٧] هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : ﴿ لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلِمَ وكان الله سميعاً عليماً ﴾ [النساء ١٤٨] . ونلاحظ هنا أن (ظُلِم) بصيغة المبنى للمفعول أو المجهول .

وهذا شكل من الاستثناء المنقطع كأنه أراد أن يقول : لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول ، واستثنى المظلوم قائلا إلا من ظُلم ، فإن له أن يجهر شاكياً .

والمعنى في ضوء ذلك : إن الله لايحب أن يجهر أحد بالسوء من القول لكن للمظلوم أن يجهر شاكياً(١) .

(١) قيل إذا كان هذا الوجه بصيغة البناء للمعلوم (ظَلَم) وبهذا الحكم من الوقف أي على (شاكراً عليماً) فإن المعنى : لايحب الله الجهر بالسوء من القول لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول ، أو لكن الظالم فإنه مفسوح لمن ظلمه أن ينتصف منه ، انظر معاني الزجاج ١٢٥/٢ وكذلك التبيان ٤٠٢/١ .

يلاحظ فى الوجه السابق : أن الوقف على شاكراً عليماً ، وأن صيغة الفعل هو البناء للمجهول . وفى ضوء ذلك تحدد معنى الآية .

أما الوجه الثاني لقراءة الآية السابقة فهو : (مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ، وكان الله شاكراً عليماً ، لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظَلَم وكان الله سميعاً عليماً) هنا الوقف ، ولا يكفى الوقف على (وكان الله شاكراً عليماً) إذا وضعنا فى اعتبارنا أمرين :

الأول : أن (ظَلَم) بصيغة البناء للمعلوم أو الفاعل .

الثاني : أن فى الكلام تقديماً وتأخيراً إذ الأصل : مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم إلا من ظَلَم ، وكان الله شاكراً عليماً .

فى ضوء ماسبق فإن الوقف على (شاكراً عليماً) لا يتم إذ الكلام متعلق بـ (من ظلم) وهو متأخر .

ويكون المعنى فى ضوء ذلك : مايفعل الله بتعذيبكم إن أصلحتم وآمنتم وشكرتم لكنه يقيم العدل بعذاب الظالم أما من أصلح فإن الله شاكر عليم ، ولايحب الله الجهر بالسوء من القول وكان الله سميعاً عليماً (١) .

٣ - ٢ الوقف مع صيغتي التكلم والغيبة :

قد تقرأ آية من الآيات وفيها فعل فى صيغة التكلم (أفعل أو نفعل) وفى

(١) راجع إيضاح فى الوقف ٦٠٧ ومعاني الزجاج ٢/١٢٥ ومعاني الفراء ١/٢٩٣ والمكتفى ٢٢٨/ ٢٣٠ ومشكل مكي ١/٢١١ والبيان ١/٢٧١/ ٢٧٢ ومعاني الأخفش ١/٢٤٨ وإعراب النحاس ١/٤٦٥ والقطع ٢٧٣ والتبيان ١/٤٠٢ .

قراءة أخرى بصيغة الغيبة يفعل أو يفعلون أو يفعلن ، وبمشاركة قرينة الوقف مع كل وجه يتغير المعنى ، وهذا كثير جداً .

فمن ذلك قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ [البقرة ٢٨٥] هنا وقف ثم يبدأ بقوله ﴿ لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ على اعتبار أن آمن غيبة ونفرق تكلم وهما منفصلان فيحسن الوقف على (ورسله) .

ويكون المعنى : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون آمنوا به ، وقد آمنوا جميعاً بالله وملائكته وكتبه ورسله ، يقولون : لا نفرق بين أحد من رسله .

وتقرأ هذه الآية على وجه آخر : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله) . هنا وقف وهنا نلاحظ أن يفرق بصيغة الغيبة مثل آمن بصيغة الغيبة كذلك فالكلام متصل ببعضه فلايوقف على (ورسله) .

ويكون المعنى في ضوء ذلك : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله غير مفرِّق بين أحد منهم فكلهم سواء[1] .

– ومن ذلك أيضاً : قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ماخلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ [يونس ٥] هنا وقف . ونلاحظ أن الفعل (يفصِّل) بصيغة الغيبة وهو كالفعل (خلق) قبله ، فالكلام كله متصل وهو بصيغة الغيبة ، وفاعل (يفصل) عائد على (الله) قبله ، فلا يفصل منه .

(١) راجع إيضاح الوقف ٥٥٩/١ ، والكشاف ٤٠٧/١ والتبيان ٢٣٤/١ ، والمكتفى ١٩٣ ، والقطع ٢٠٨ ، والطبري ١٢٦/٦-١٢٧ ، والقرطبي ٤٢٦/٣ .

والمعنى في ضوء ذلك : ما خلق الله الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لنعلم عدد السنين ما خلق ذلك إلا بالحق ، وهو يفصل ذلك كآيات لقوم يعلمون .

وتقرأ هذه الآية على النحو التالي : (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : نفصل الآيات لقوم يعلمون) حيث جاء الفعل (نفصل) بصيغة التكلم مخالفًا لما قبله الذي هو بصيغة الغيبة ، فحسن الوقف للتنبية إلى هذا الالتفات من الغيبة في (خلق) إلى التكلم في (نفصل) ، والمعنى هنا : ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، ونحن نفصل الآيات لقوم يعلمون [١] .

٢ - ٣ ومن اجتماع الوقف مع صيغتي الغيبة والخطاب

قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً ﴾ [الانعام ٩١] هنا وقف ونلاحظ أن (قل ، تجعلونه ، تبدونها ، تخفون) كلها بصيغة الخطاب ، فلا يفصل بعضه من بعض .

والمعنى : قل يا محمد من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى

---

(١) انظر إيضاح الوقف ٧٠٤ ، والقطع ٣٧٣ ، والمكتفى ٣٠٢/٣٠٤ والكشف لمكي ٥١٣/١/٥١٤ . ومن أمثلة ذلك كذلك :

١ - (الرحمن ٣١) (سنفرغ لكم أيها الثقلان) أو (سيفرغ لكم أيها الثقلان) . راجع في ذلك معاني الفراء ١٦/٣ ، القرطبي ١٦٨/١٧/١٦٩ ، والنسفي ٢١١/٤ والقطع ٦٩٨ ، والكشف لمكي ٣٠١/٢-٣٠٢ والمكتفى ٥٤٨ .

٢ - (الرعد) (نفضل بعضها على بعض في الأكل) أو (يفضل بعضها على بعض في الأكل) . راجع في ذلك : القطع ٤٠٧ ، وإيضاح الوقف ٧٣٢ ، والقرطبي ٢٨٣/٩ ، ومعاني الفراء ٣٤٧/١ ، ٥٨/٢ ، والكشف ١٩/٢ ومعاني الزجاج ١٣٨/٣ .

للناس ، جاعلين إياه في قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً غيرها .

والوجه الثاني : أن تقرأ هذه الآية : (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله (يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً) .

ونلاحظ أن قل (خطاب) على حين أن ثلاثة الأفعال (يجعلونه ، يبدونها يخفون) كلها غيبة . قيل إن الخطاب : قل يا محمد لمشركي العرب ، . أما الغيبة فعائد على اليهود ، فحسن الفصل .

ويكون المعنى في ضوء ذلك : قل يا محمد لمشركي العرب من أنزل الكتاب الذي أنزل على موسى نوراً وهدى للناس ، ثم التفت للحديث عن اليهود قائلا لقد كانوا يجعلونه في قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً منها ، ثم عاد والتفت بعد ذلك مخاطباً المسلمين (وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم)[1] .

ومن ذلك أيضا : قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ [النحل ١٩] هنا وقف ثم يبتدأ بقوله ﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ﴾ [النحل ٢٠] .

نلاحظ أن الفعلين : تسرون – تعلنون – خطاب للمؤمنين .

أما الفعلان يدعون – يخلقون – فغيبة حكاية عن المشركين . فحسن كذلك الفصل بينهما والوقف على (تعلنون) .

---

(١) انظر القطع ٣١٢ ، ومعاني الزجاج ٢/٢٧٦ ، وإيضاح الوقف ٦٤٠ والطبري ١١/٥٢٤ ، والقرطبي ٧/٣٧-٣٨ ، وإعراب النحاس ١/٥٦٥ والبيان ١/٣٣٦ ، والمكتفى ٢٥٥ ، والكشف ١/٤٤٠ والمشكل ٢٦٠ .

ويكون المعنى : إن الله يعلم أيها المؤمنون ما تسرونه وما تعلنونه ، أما المشركون الذين يدعون من دون الله آلهة فهم لا يخلقون شيئاً بل هي نفسها مخلوقة .

أما الوجه الثاني لقراءة هذه الآية : (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ، والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون) .

وهنا نلاحظ أن : تسرون ، تعلنون ، تدعون ، كله خطاب مقصود به الكفار ، والكلام في ضوء ذلك كله متصل . فلا يفصل بعضه من بعض ويكون المعنى ، والله يعلم أيها الكفار ما تسرون وما تعلنون وما تدعون من دون الله من آلهة لا تخلق شيئا بل هي نفسها مخلوقة[١] .

٢ - ٤ - ومن اجتماع الوقف مع صيغتي الماضي والمضارع .

قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ الشيطن سول لهم وأملى لهم ﴾ [محمد ٢٥] تقرأ هذه الآية على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : (الشيطن سوّل لهم وأملى لهم) بلا وقف على (سوّل لهم) ويلاحظ :

أ) أن الفعل (أملى) بصيغة الماضي وفاعله ضمير مستتر عائد على الشيطان .

ب) أن الكلام متصل ، فالواو عاطفة ، وأملى معطوف على سوّل .

---

(١) راجع الكشف ٣٥/٢ ، والمكتفى ٣٢٩ ، ومعاني القراء ٩٨/٢ ، وإيضاح الوقف ، ٧٤٧ ، ومعاني الزجاج ٩٣/٣ ، والقطع ٤٢٦ ، ومن أمثلة ذلك أيضا (ثم إليه ترجعون) (الروم ١١) أو (ثم إليه يرجعون) راجع أيضا الوقف ٨١٢ ، والقطع ٥٥٩ والمكتفى ٤٤٧ والكشف ١٨٣/٢ والقرطبي ١٤ / ١٠ .

جـ) أن المعنى في ضوء ذلك . إن الشيطن سوّل وأملي لهم .

الوجه الثاني : (الشيطن سوّل لهم) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله تعالى ﴿ وأمْلِي لهم ﴾ ، ونلاحظ هنا .

أ) أن الفعل (أمْلي) بصيغة المضارعة للمتكلم – الهمزة مضمومة والميم ساكنة) وفاعلة ضمير مستتر تقديره (أنا) عائد على (الحق) سبحانه وتعالى .

ب) أن الكلام منفصل ، فمن سوّى غير من أملي ، فيحسن قطع ما هو من فعل الشيطان عما هو من فعل الله جل ثناؤه .

جـ) أن المعنى في ضوء ذلك ، الشيطان سوّل لهم وزين ، وأنا الحق أمهلهم .

أما الوجه الثالث : (الشيطان سولّ لهم) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله (وأُمْلِيَ لهم) بجعل الفعل ماضياً مبنياً للمجهول ، وفيه مزيد تهديد ووعيد وهنا نلاحظ ما يلي :

أ) أن من سوّل هو الشيطان على حين أن من أمهل هو الحق أيضا ولكن في صيغة المبني للمجهول .

ب) أن الفعل (أُمْلِيَ) بضم الهمزة وتسكين الميم وكسر اللام وفتح الياء هو ماضٍ مبني للمجهول ، وفيه إطلاق للعنان لكي يتصور قدرة المملي ، وما يترتب على ارتدادهم وتسويل الشيطان لهم من سوء مصير .

جـ) أن المعنى في ضوء ذلك ، إن الشيطان سوّل لهم ، وقد أمهلوا .

وما أدراك ما عاقبة الإمهال [١] .

٢ – ٥ ومن الوقف مع تنوع الصيغة بين كونها ماضياً أو أمراً .

قوله تعالى : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا فى البلاد وهل من محيص ﴾ [ق ٣٦] .

تقرأ الآية السابقة على وجهين :

الأول : (وكم أهلكنا قبلهم من قرنٍ هم أشد منهم بطشاً فَنَقَّبوا فى البلاد) . بجعل الفعل (نقّبوا) بصيغة الماضي مفتوح القاف وفي ضوء ذلك لا وقف على بطشاً) ، لأن الواو فى الفعل تعود على ما قبلها (قرنٍ)[٢] ، فلا يفصل بينهما ، ونلاحظ هنا .

أ) أن الفاء فى (فنقبوا) عاطفة ، أى بطشوا فخرّقوا وأفسدوا فى البلاد .

ب) أن الكلام متصل ، فلا يفصل بين المتعاطفين .

جـ) أن المعنى : لقد أهلكنا كثيرين قبلهم كانوا أشد بطشاً وعاثوا فى الأرض فساداً فهل كان لهم من محيص ؟

الوجه الثاني : (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : (فنقّبوا في البلاد) وهنا نلاحظ :

أ) أن الفعل (فَنَقِّبوا) جاء بصيغة الأمر (مكسور القاف) والفاء استئنافية .

---

(١) راجع إيضاح الوقف ٨٩٨ ، والقرطبي ٢٤٩/١٦ ، والمكتفى ٥٢٥ والقطع ٧٦٧ ، والكشف ٢٧٧/٢/٢٧٨ .

(٢) كلمات القرآن ص ٣٢٥ . قرن : أى : أمّة .

ب) أن الكلام اللاحق مستقل عن السابق فحسن الوقف لأن الواو في (فنقبوا) لا تعود على ما يعود عليه (هم) ، فهم يعود على الهالكين السابقين ، أما الواو فتخص المخاطبين .

جـ) أن المعنى هو : ما أكثر الهالكين من الأمم الذين كانوا أشد منكم بطشاً فخرقوا وأفسدوا في البلاد ، فهل ثمة مفر من نفس المصير ؟[1] .

٢ - ٦ ومن تنوع الوقف مع كون الصيغة اسماً أو حرفاً

فمن ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ﴾ [الرعد ٤٣] هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : ﴿ ومِنْ عنده عِلْم الكتاب ﴾ بكسر الميم ويلاحظ على هذه القراءة ما يلي :

أ) أنها تتركب من :

ومِنْ : استئنافية + حرف جر .

عنده : مجرور بمن + مضاف إليه (والجار والمجرور خبر مقدم) .

علمُ الكتاب : مبتدأ مؤخر + مضاف إليه .

ب) أنها جملة منفصلة عما قبلها ، وعليه فالوقف على (وبينكم) .

جـ) والمعنى في ضوء ذلك : قل يكفي الله وحده شهيداً بيني وبينكم ، فعلم الكتاب مستقر عنده .

الوجه الثاني : (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَنْ عنده علم الكتاب

(١) راجع في ذلك إيضاح الوقف ٩٠٤ ، والقطع ٦٧٨ ، ومعاني الفراء ٢/٧٩/٣-٢٨٠ ، والقرطبي ١٧/٢٢ والتبيان ٢/١١٧٧ والمنار ٣٦٩ .

بفتح الميم ويلاحظ على هذا الوجه :

أ) مَنْ مفتوحة الميم اسم موصول ، وهو مبني على السكون في محل رفع عطفًا على محل (بالله) وهو الرفع على الفاعلية ، وعنده (ظرف شبه جملة خبر مقدم + علم الكتاب مبتدأ مؤخر + مضاف إليه ، والجملة صلة مَنْ لا محل لها من الإعراب .

أو - مَنْ : اسم موصول مبني على السكون في محل جر عطفا على لفظ (بالله) وهو مجرور لفظًا + عنده علم الكتاب : خبر مقدم + مبتدأ مؤخر والجملة صلة (مَنْ)[١] .

ب) في الحالين : فإسم الموصول (مَنْ) معطوف على (بالله) ولا يفصل بين المعطوف عليه والمعطوف ، إذا الفصل يجعل الكلام غير تام .

جـ) والمعنى في ضوء ذلك : قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم وكفى بمن عنده علم الكتاب[٢] .

٣ - قرينة الوقف مع قرينة الأداة .

مصطلح الأداة كما هو معروف مصطلح كوفي يقابل ما يعرف عند

---

(١) ثمة تخريجات أخرى ترى أن : عنده : شبه جملة صلة من ، وعلم مرفوعة بالظرف ، لأن الظرف إذا جاء صلة رفع كالفعل ، وقد تعرب عند : صفة لـ مَنْ بوصفها نكرة ، وعلم مرفوعة بالظرف أيضا ، لأن الظرف يرفع فاعلاً كالفعل إذا جاء صفة على مذهب سيبويه والأخفش فعلى هذا : عند : إما صلة من أو صفة من : وعلم : فاعل عند سواء أكانت صلة أم كانت صفة ، انظر التبيان ٢/ ٥٣ .

(٢) راجع في ذلك التبيان ٢/ ٧٦٠/٧٦١ ، القطع ٤١٣ ، والمكتفي ٣٣٨ ، ومعاني الفراء ٢/ ٦٧ ، والقرطبي ٩/ ٣٣٦ ، وإيضاح الوقف ٧٣٨ ، وفي نص إيضاح الوقف اضطراب واضح في هذا المثال .

البصريين بـ الحرف بوصف الأخير قسيما للاسم والفعل ، ومصطلح الأداة في هذا السياق لا يطابق مفهومه عند الكوفيين ، بل إن الأداة مصطلح يستخدم في دلالة أوسع بكثير مما عناه الكوفيون ، إنني أقصد هنا بالأداة : كل عنصر نحوي Syntactic element لا يصلح أن يقع في أحد موقعين : المسند إليه أو المسند ، فكل عنصر نحوي لايصلح لأن يشغل وظيفة مبتدأ أو فاعل أو نائب فاعل من جانب ، ولا يصلح أن يشغل وظيفة فعل أو مايسد مسدَّ الفعل أو خبر من جانب ثان هو عندي داخل في مفهوم الأداة ، ولعلي أفرغ إن شاء الله تعالى من بحث مستقل يعالج هذه القضية .

ويحسبي هنا أن أقدم أمثلة لتنوع دور الأداة مفردة ومركبة وأثر ذلك حين يحدث مع ظاهرة الوقف في توجيه المعنى .

وتلك طائفة من الأمثلة لبيان هذا الدور المزدوج للوقف والأداة .

٣ - ١ - ففي قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴾ [آل عمران ٧٣] .

تقرأ الأداة (أن) في هذه الآية على عدة أوجه ، ويتغير حكم الوقف بوصفه رمزاً يشير بدورة إلى تغير المعنى ، وذلك على النحو التالي :

الوجه الأول : (قل : إن الهدى هدى الله أنْ يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) بفتح الهمزة (أنْ) . في ضوء هذه القراءة نلاحظ مايلي :

١ - أن المصدر المؤول من (أن يؤتى) في محل نصب مفعول به لقوله قبل ذلك : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) .

٢ – أن قوله تعالى : ﴿ قل إن الهدى هدى الله ﴾ هو مجرد جملة اعتراضية بين الفعل (ولاتؤمنوا) والمفعول (أن يؤتى) .

٣ – في ضوء ماسبق لايجوز الفصل بين الفعل والمفعول ، إذ الكلام كله متصل بعضه ببعض فلا يتم إلا بالوصل .

٤ – والمعنى في ضوء ما سبق : ولا تؤمنوا أي لا تصدقوا أن يؤتي أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم[1] .

وقد رأى بعضهم أن (أنْ) هنا بمعني : (أن لا) فيكون المعنى : إن البيان بيان الله ، أن لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، وهذا يماثل المعنى في قوله تعالى : ﴿ يبين الله لكم أن تضلوا ﴾ [النساء ١٧٦] أي : لئلا تضلوا[2] .

الوجه الثاني : (قل إن الهدى هدى الله) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) ويلاحظ على هذه القراءة مايلي :

١ – أن الأداة (أن) مركبة من همزة استفهام + أنْ أو لأن .

٢ – أن الأداة ابتداء كلام ، وهي بذلك مستقلة ، وقبلها وقف .

٣ – المعني في ضوء ذلك : ألأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم تصدقونه وذلك على

---

(١) ويرى بعض العلماء أن الفعل (لا تؤمنوا) تعدى إلى المصدر المؤول من (أن يؤتى) بحرف جر محذوف يفسره كلام سابق في الآية ، فهو إذن مصدر في موضع جر ، والتقدير (لا تؤمنوا بأن يؤتى أحد) وذلك يماثل قوله تعالى : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى .... ﴾ والقول بأنها في موضع جر هو رأى الخليل ، على حين أن القول بأنها في موضع نصب على المفعولية هو رأي سيبويه انظر الحجة للفارسي ٢/٣٦٧/٣٦٨ ، وإيضاح الوقف ٥٧٨/٥٦٩ .

(٢) انظر معاني الفراء ١/٢٢٢ ، مشكل مكي ١/١٦٢/١٦٣ ، ومعاني الزجاج ١/٤٣٠/٤٣١ ، وإعراب النحاس ١/٣٤٢/٣٤٣ ، والقطع ٢٢٨ ومعاني الأخفش ١/٢٧٠ ، والتبيان ١/٢٧٦/٢٧٢ .

وجه التوبيخ ، وهو يقارب المعنى في قوله تعالى : ﴿ أن كان ذا مال وبنين ﴾ [القلم ١٤] أي : ألأن كان ذا مال وبنين يطيعه ؟[1] .

الوجه الثالث : (قل : إن الهدى هدى الله) هنا وقف ، ثم يبتدأ بقوله : (إن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم) . ويلاحظ هنا مايلي :

١ – أن الأداة : (إنْ) بكسر الهمزة جاءت في صدر الكلام نافية بمعنى (ما) .

٢ – أن الكلام بعدها مستقل عما قبلها ، فحسن الوقف على (هدى الله) .

٣ – أن المعنى في ضوء ذلك : ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم[2] .

ومن هذا المثال يتضح مدى تأثير الأداة على العلاقات التركيبية ، وتداخل ذلك مع أحكام الوقف ، وأثر تضافر هاتين القرينتين في التأثير على معنى الآية من وجه لآخر ، بحسب شكل الأداة وموضع الوقف .

٣ – ٢ – ومن ذلك أيضا قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون ، ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ﴾ [النحل ٢٤/٢٥] ، وتقرأ هاتان الآيتان على وجهين :

الوجه الأول : (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ، ألاّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض) بتشديد

---

(١) راجع الإيضاح ٥٧٩ ، والمكتفى ٢٠٣ ، والبيان ٢٠٨/١ وسوف يأتي مثال الآية ١٤ من سورة القلم بالتفصيل بعد قليل .

(٢) راجع أيضاً إيضاح الوقف ٥٧٩ ، والقرطبي ١١٢/٤ ، والنشر ٣٦٦/١ .

(ألاّ) ونسجل الملاحظات التالية على هذا الوجه :

١ - أن (ألاّ) بالتشديد أداة مركبة من : أن مصدرية ناصبة + لا نافية + يسجدوا مضارع منصوب بـ أن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والمصدر المؤول من أن وما دخلت عليه في محـــل نصب مفعول للفعل (زيَّن) أي زين لهم عدم السجود .

٢ - أن الكلام بهذا متصل فلا يفصل العامل (زين) عن مفعولة (ألاّ يسجدوا .

٣ - أن المعنى في ضوء ذلك : إن الشيطان زيَّن لهم عدم السجود وصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون .

٤ - المعنى السابق يترتب عليه ألا نسجد في الصلاة إذا قرأنا الآية بهذه الطريقة[1] .

الوجه الثاني : (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : (ألاَ يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض)[2] ويلاحظ على هذا الوجه مايلي :

---

(١) يلاحظ أن خط المصحف الذي بين أيدي الناس تكتب فيه (ألاّ) بالتشديد ويوضع مع هذا خط فوقها يفيد أن هذا موضع سجود ، وهو خلاف ما يثبته العلماء من توجية المعنى طبقاً لهذا الضبط وتلك القراءة التي تقتضي عدم السجود . راجع إيضاح الوقف ٨١٦ ومعاني الفراء ٢/٢٩٠ والقطع ٥٣٥ والمكتفى ٤٢٩ .

(٢) في إيضاح الوقف : (فهم لايهتدون ألا) هنا وقف ثم يبتدأ (اسجدوا لله) ، ولا يستقيم الكلام في ضوء هذا الوقف إلا إذا كان المقصود به نوعاً من السكت اللطيف الذي ينبه إلى أنه يريد الحث على السجود وليس يريد النهي عنه . انظر إيضاح الوقف ٨١٦ .

١ - أن (ألاَ) مفتوحة اللام ، غير مشددة : هي حرف تنبيه لابتداء الكلام + يا أداة نداء أسقط منها الألف تخفيفاً + (اسجدوا أمر مبني على حذف النون وقد حذف من صدره همزة الوصل + الواو فاعل .

وحذف همزة الوصل في صدر الأمر الواقع بعد (يا) النداء نمط من الاستعمال العربي معروف في الشعر والنثر ، من ذلك قول ذي الرمة :

ألا يا سلْمي يا داريّ على البلى ولازال منهلاً بجرعائك القطر[1]

ومن ذلك أيضا قول النمر بن تولب :

فقالت : ألا يا سْمع نعظك بخطة فقلت سميعاً فانطقي وأجيبي[2] .

٢ - في ضوء القراءة السابقة يحسن الوقف على (لايهتدون) لأن مابعده (ألاَ) وهي أداة تنبية لها الصدارة في ابتداء الكلام .

٣ - أنه يُسَنّ السجود في الصلاة في هذا الموضع في ضوء هذه القراءة .

٤ - أن المعنى في ضوء ذلك : إن الشيطان قد زين لهم أعمالهم فصدهم ذلك عن سبيل الحق إلى سبيل الضلال فهم لايهتدون .

ألا يا هؤلاء اسجدوا لله الذي يخرج غيب السموات والأرض من الرزق ، ولا تسمعوا لغواية الشيطان .

(١) انظر معاني الأخفش ٢/٤٢٩ ، ومعاني الزجاج ٤/١١٥ .
(٢) انظر الكشف لمكي ٢/١٥٧/١٥٨ ، وانظر كذلك معاني الفراء ٢/٢٩٠ .

٢ - ٣ - ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم أنْ كان ذا مال وبنين ﴾ (القلم ١٤) .

تقرأ هذه الآية على وجهين كذلك :

الوجه الأول : (عتل بعد ذلك زنيم) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : (أن كان ذا مال وبنين) ويلاحظ على هذه القراءة مايلي :

١ - آن : مركبة من : همزة استفهام + أن مصدرية + اسمها ضمير شأن + كان : ناسخة + اسمها محذوف + ذا خبر كان والجملة خبر أن المصدرية[1] .

٢ - أن الاستفهام له الصدارة ، ومن هنا وُقِفَ على (بنين) وابتدئ بـ(آن) .

٣ - والمعنى في ضوء ماسبق : أآن كان ذا مال وبنين تطيعه ؟ أو آن كان ذا مال وبنين تفعل هذا ؟ أو ألإن كان ذا مال وبنين تطيعه ؟ والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ .

الوجه الثاني : (عتل بعد ذلك زنيم أنْ كان ذا مال وبنين) .

ويلاحظ على هذه القراءة مايلي :

١ - أن (أنْ) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن محذوف وجملة (كان ذامال) في محل رفع خبرها .

٢ - أن الكلام متصل بعضه ببعض إذ المصدر المؤول من (أن) وما دخلت

(١) قيل : إنْ (إن) المكسورة شرطية : وتقدير الكلام إن كان ذا مال وبنين يكفر انظر التبيان ١٢٣٤/٢ .

عليه (كونه ذا مال وبنين) هو الدافع إلى الفحش واللؤم والتكبر قبله .

٣ - أن المعنى في ضوء ماسبق : أيكفر ويتكبر ويلؤم لأنه كان ذا مال وبنين . ويدعم هذا المعنى مارواه الفرّاء من قراءة عبد الله بن مسعود : ﴿ ولاتطع كل حلاف مهين أن كان ذا مال وبنين ﴾ . فالكلام كله متصل بعضه ببعض .(١)

ومن الأمثلة السابقة يتبين أن الأداة تلعب دوراً بارزاً في توجيه المعنى حين تتضافر مع قرينة الوقف ، وهو دور يماثل الأدوار التي تلعبها قرائن أخرى سبق عرضها كالعلامة الإعرابية والصيغة وقرائن لاحقة سوف يعرض لها البحث .

٤ - الوقف مع الوظيفة النحوية .

إن إعراب كلمة ماعلى أنها : مبتدأ أو خبر أو فاعل أو نائب فاعل أو مفعول ، هو إبانة عن وظائف نحوية تشغلها الكلمة في الجملة . والقرائن التي تساعد على تحديد هذه الوظيفة كثيرة بعضها لفظي ، كالعلامة الإعرابية والصيغة والرتبة الخ ، وبعضها معنوي : كالاسناد والتعدية والتخصيص الخ. (٢) والمقصود باجتماع الوقف مع الوظيفة النحوية ، أن يتأثر المعنى بعنصرين : اعتبار وحده معينة تشغل وظيفة معينة في تركيبها من جانب ، والوقف على موضع بعينه طبقاً لهذا التوجيه

(١) انظر القطع ٧٣٦ ، وإيضاح الوقف ٩٤٣ ، كلمات القرآن ٣٧٩ والمكتفى ٥٨١ ، ومشكل مكي ٢/٢٣١/٢٣٢ . ومعاني القراء ٣/١٧٣/١٧٤ .

(٢) انظر العربية معناها ومبناها الفصل الخامس النظام النحوي ص ١٩٠ ومابعدها .

الوظيفي للوحدات من جانب ثان . وهذه أمثلة توضح ذلك :

٤ - ١ ففي قوْل الحق سبحانه وتعالى : ﴿ أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾ [الأعراف ٤٦] تقرأ هذه الآية على وجهين :

الوجه الأول : ﴿ أن سلام عليكم لم يدخلوها ﴾ هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : (وهم يطمعون) . ويتركب مابعد الوقفممايلي :

١ - واو : استئنافيه + هم : ضمير مبني في محل رفع مبتدأ + جمله في محل رفع خبر (فعل + فاعل) . والجملة من المبتدأ وخبره ابتدائية لامحل لها من الإعراب .

٢ - كون الجملة السابقة ابتدائية يعني الابتداء بها ، وقبلها وقف .

٣ - المعنى في ضوء ذلك : سلام عليكم لم يدخلوها ، وهم يطمعون في دخولها . فالجحد مقصور على الدخول وحده دون الطمع . وقد صيرَّ الوقفُ الطمعَ مستقلاً عن الدخول فالأخير منفي على حين أن الطمع مثبت ، فهناك إذن استقلال وظيفي ودلالي .

الوجه الثاني : ﴿ أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾ بلاوقف على (لم يدخلوها . وهنا نلاحظ على (وهم يطمعون) .

١ - الواو : للحال + هم مبتدأ + يطمعون : جملة خبر المبتدأ ، والجملة في محل نصب حال من (الواو) في (يدخلوها) .

٢ - أن الجملتين : أن سلام عليكم لم يدخلوها ، و هم يطمعون قد ارتبطتا

وظيفياً ، فالثانية حال من (الواو) في (يدخلوها) في الجملة الأولى . مماترتب عليه عدم إمكان الفصل بينهما .

٣ – في ضوء الارتباط السابق بين الجملتين انتقل معنى الجحد إلى الطمع فصار معنى الآية : أن سلام عليكم يدخلونها وهم لايطمعون في دخولها ، وهذا يماثل قولنا : ماضربت عبد الله وعنده أحد ، أي : ضربت عبد الله وليس عنده أحد ، ومنه قولهم : ما كأنها أعرابية

أي : كأنها ليست أعرابية

« وأنشد الفرّاء :

ولا أراها تزال ظالمة تحدث لي نكبة وتنكؤها

أراد : وأراها لاتزال ظالمة ، فمعنى الجحد الأول التأخير »[1]

٤ – ٢ – ومن ذلك أيضا قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ والله بكل شيء عليم ، في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ [النور ٣٥/٣٦] تقرأ الآية السابقة على وجهين :

الوجه الأول : ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ هنا وقف كاف ، ثم يبتـــدأ بقوله : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ . ويلاحظ على هذا الوجه من القراءة مايلي :

١ – أن (في بيوت) شبه جملة متعلق بـ (يسبّح) بعد ذلك .

(١) انظر إيضاح الوقف ٦٥٥/٦٥٦ ، ومعاني القرّاء ٧٥/٢ ، والمكتفي ٢٧٦ ، وإعراب النحاس ٦١٤/١ ، والبيان ٣٦٢/١ ومشكل مكي ٢٩٢ ، والقطع ٢٢٤و٢٢٥ والتبيان ٥٧٦/١ .

٢ - أن (في بيوت) بالتعلق السابق صار منفصلاً لفظاً عما قبله فجاز الوقف على ماقبلها .

٣ - أن المعنى في ضوء ذلك : يسبحُ لله رجال في بيوت أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه بالغدوّ والآصال .

الوجه الثاني : ﴿والله بكل شيء عليم ، في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾ ويلاحظ على هذا الوجه مايلي :

١ - أن (في بيوت) تعلق بماقبله ، فإما أن يكون متعلقاً بمنصوب حال من (المصباح والزجاجه والكوكب) أو صفه لمصباح في قوله : (فيها مصباح) أو متعلقة بالفعل (يوقد من شجرة مباركة) أو صفة لمشكاة : أي كمشكاة في بيوت .

٢ - في ضوء التعلق السابق لايجوز أن نقف على (عليم) حتى لاتنفصل بين (في بيوت) وبين ماتعلق به قبل ذلك سواء أكان المصباح أم الزجاجه أم الكوكب أم المشكاة أم الفعل (يوقد) .

٣ - والمعنى في ضوء ذلك : مثل نوره كمشكاة في بيوت أذن الله أن ترفع (أو كمصباح في بيوت) أو (زجاجة في بيوت) أو (كوكب في بيوت) أو (يوقد في بيوت) [١] ... الخ

٤ - ٣ - ومن ذلك أخيراً تتمة نفس الآيه : ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبّح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم

(١) راجع في ذلك إيضاح الوقف ٧٩٧ ، والقطع ٥١١ ، ومعاني القراء ٢/٢٥٣ والتبيان ٢/٩٧٠.

تجــارة ﴾. تقرأ هذه الآية على عدة أوجه على النحو التالى :

الوجه الأول : (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة..) ويلاحظ على هذه القراءة مايلى :

١ - أن (في بيوت) شبة جملة خبر مقدم + رجال : مبتدأ مؤخر :

٢ - ليس في وسط الآية أوقاف لا على قوله : (اسمه) ولاعلى (الآصال) ولايبتدأ بـ (رجال) . منعاً للفصل بين المتلازمات ..

٣ - والمعنى في ضوء ذلك : رجال لا تلهيهم تجارة في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبحون له فيها بالغدوّ والآصال .

الوجه الثاني : (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبَّح له فيها بالغدو والآصال) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : (رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله ..) ويلاحظ على هذاالوجه مايلى

١ - أن (في بيوت) شبة جملة متعلقة بـ المصباح أو الكوكب أو الزجاجة المشكاة أو (يوقد) أى متعلقه بما قبلها .

٢ - أن (يسبَّح) مضارع مبني للمجهــول (مفتوح الباء) + له : نائــب فاعل لـ (يسبّح) .

٣ - أن (رجال) : فاعل لفعل محذوف تقديره : يسبح .

٤ - الوقف الوحيد على قوله : (والآصال) .

والمعنى في ضوء ذلك : مثل نوره كمشكاة في بيوت أذن الله أن ترفع

ويذكر فيها اسمه ، يسبِّح له فيها بالغدوّ والآصال ، يسبِّح لله رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله .

الوجه الثالث : (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) هنا وقف ، ثم يبتدأ بقول : (يسبِّح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله) ويلاحظ هنا مايلي :

١ - أن (في بيوت) متعلق بما قبله أي صفه أو حال من مشكاة أو مصباح الخ .

٢ - أن يسبح : فعل + رجال : فاعل

٣ - لايجوز الوقف على (الآصال) حتى لاتنفصل الفعل من الفاعل .

٤ - المعنى في ضوء ذلك : مثل نوره كمشكاة في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه . يسبح له رجال بالغدو والآصال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله .(١)

ويجمل أن نسجِّل التغيرات التي أثَّرت على المعنى في هذه الأوجه !

١ - تعدد الوظائف النحوية لـ (في بيوت) فهي إما حال من مشكاة أو مصباح أو زجاجة أو كوكب أو صفة لها أو متعلقة بـ (يوقد) . أو خبر مقدم لـ (رجال) .

---

(١) راجع في ذلك . الكشف لمكي ١٣٦/٢ . معاني القراء ٢٥٣/٢ ، القطع ٥١١/١٢ ، المكتفي ٤٠٩ ، إيضاح الوقف ٧٩٨ ، معاني الزجاج ٤٥/٤ ، والبيان ١٩٦/٢ ، والتبيان ٩٧٦/٩٧٠/٢ والقرطبي ٢٧٥/١٢ والنشر ٣٣٢/٢ / الطبري ١٤٤/١٨ .

٢ - تعدد الوظائف لكلمة (رجال) فهي إما مبتدأ مؤخر أو فاعل لـ (يسبِّح) قبلها ، أو فاعل لفعل محذوف تقديره (يسبِّح) .

٣ - تعدد أحكام الوقف إما على قوله : (عليم) أو (اسمه) أو (الآصال) .[1] أو عدم الوقف على أيٍ منها .

وقد تعاونت هذه العناصر سواء الوظيفة النحوية المعينة أو الوقف في توجيه المعنى بطريقة معينة على النحو الذي سبق بيانه .

ويلاحظ أن الوظائف النحوية لـ(في بيوت) و (رجال) قد تنوعت برغم ثبات العلامة الإعرابية فيهما ، وهو مايعني أن التأثير نتج عن الوظيفة التي شغلتها الوحدة بصرف النظر عن أية قرينة أخرى ، خلا الوقف الذي شارك هو الآخر في هذا التوجيه .

٥ - الوقف مع قرينة الإسناد .

إن المقصود بالإسناد كقرينة مؤثرعلى الدلالة التركيبية بمشاركة الوقف في هذا العنوان هو إسناد الفعل للضمائر خاصة . فقد نجد أن الفعل في قراءة يسند إلى ضمير وفي قراءة أخرى يسند لضمير آخر ويتغير موقع الوقف ، وتتغير تبعاً لذلك دلالة التركيب . ومن الأمثلة التي توضح ذلك .

٥ - ١ - قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فلما وضعتها قالت : ربِّ إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت ﴾ [آل عمران ٣٦] .

(١) ثمة عنصر شارك بطريقة غير مباشرة وهو (يسبِّح) بصيغة البناء لما سمي فاعله ، و(يسبَّح) بصيغة البناء لما لم يسم فاعله .

وتقرأ الآية السابقة على الأوجه التالية :

الوجه الأول : ﴿ فلما وضعتها قالت : ربِّ إني وضعتها أنثى ﴾ هنا وقف ثم يبدأ بقوله :(والله أعلم بما وَضَعَتْ) ويلاحظ على هذه القراءة :

١ – أن الفعل : (وضَعَتْ) ملحق به تاء تأنيث ساكنة تعود على أم مريم ، والفاعل ضمير مستتر تقديره : هي .

٢ – أن في الآية التفاتاً من التكلم على لسان أم مريم قبل ذلك : (إني نذرت، فتقبل ، إني وضعتها) وبعد ذلك أيضاً (وإني سميتها وإني أعيذها ، فتقبلها) وتحول إلى الحكاية عن الغائب (وهو أم مريم نفسها) (والله أعلم بما وضعتْ) وفق هذه القراءة ، وهو من كلام الحق سبحانه وتعالى . ولهذا حسن الوقف تنبيهاً إلى هذا الالتفات على قوله : (أنثى) والبدء بقوله : (والله أعلم بما وضعت) وذلك لعدم وجود علاقة لفظية بين السابق واللاحق .

٣ – والمعنى في ضوء ذلك : والله أعلم بالشيء الذي وضعته أم مريم ، وبما علق به من عظائم الأمور ، وأن يجعله وولده آية للعالمين ، وهي (أم مريم) جاهلة بذلك لاتعلم عنه شيئاً ، فلذلك تحسَّرت . وفي قراءة ابن عباس : (والله أعلم بما وضعتْ) على خطاب الله لها ، أي أنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب ، والله هو العالم بما فيه من العجائب والآيات .(١)

الوجه الثاني : (قالت : ربي إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعتُ) يلاحظ

(١) انظر إيضاح الوقف ٢٨/٨ ، والكشاف ٤٢٥/١ ، وإيضاح الوقف ٥٧٥ ، الكشف ٣٤٠/١ والقطع ٢٢١/٢٢٠ .

على هذا الوجه مايلي :

١ - أن الفعل (وضعتُ) مسند لضمير المتكلم المفرد ، والكلام بهذا متصل بما قبله لفظاً ومعنى فكل الضمائر السابقة واللاحقة هي على لسان (أم مريم) كما سبقت الإشارة .

٢ - أنه في ضوء ما سبق لا وقف على (أنثى) منعاً للفصل بين المتصل من الكلام .

٣ - والمعنى في ضوء ماسبق : قالت : ربي إني وضعتها أنثى ، وأنت أعلم بما وضعتُ ، فهو كالتسبيح والخضوع والاستسلام ، وليس تريد بذلك إخباراً .(١)

الوجه الثالث : (قالت : ربِّ إني وضعتها أنثى) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : (والله أعلم بما وضعتِ) وهنا نلاحظ :

١ - أن الفعل (وضعتِ) جاء مسنداً لضمير المخاطبة ، والكلام هنا على لسان الحق سبحانه وتعالى . وهو بذلك منفصل عما قبله الذي هو بصيغة التكلم مما اقتضى الفصل بالوقف على (أنثى) تنبيها لهذا الالتفات الناتج عن اختلاف إسناد الفعل لضمير المخاطبة بعد أن كان مسنداً لضمير المتكلم .

٢ - وفي ضوء ذلك فإن المعنى : ياربي إني وضعتها أنثى (مخاطبة الحق سبحان) فرد الحق مخاطبا إياها : والله أعلم بأمر الذي وضعته وليس

(١) انظر الحجة للفارسي ٢/٣٥٤ ، ومعاني الفرّاء ٦/٢٠٧ ، والطبري ٦/٣٣٤ .

الذكر الذى تمنيته كالأنثى التى وهبتك إياها ، إنها ستكون وولدها آية للعالمين ،وهذا مالاتعرفين . (١)

ونسجل الملاحظات التالية على هذا المثال .

١ – من المثال السابق ، يتبين أن الفعل (وضعتْ) فى القراءة الأولى لم يسند لضمير بل ألحق به تاء تأنيث ، على حين أسند إلى (تاء المتكلم) فى الثانية و[تاء المخاطبة] فى القراءة الثالثة .

٢ – ترتب على هذا التغيير فيما أسند للفعل اختلاف فى حكم الوقف على (أنثى) منعاً فى القراءة الأولى وجوازاً فى القراءتين الثانية والثالثة .

٣ – أن المعنى فى ضوء اختلاف قرينتي الإسناد والوقف قد تغير من وجه لآخر على النحو الذى سبق بيانه .

٥ – ٢ – ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وأذّن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍ عميق ﴾ [الحج٢٧]

تقرأ الآية السابقة على وجهين :

الوجه الأول : (وأذّن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) ويلاحظ على هذا الوجه مايلى :

١ – أن الفعل (يأتين) مسند إلى (نون النسوة) وهو يعود على قوله (كل ضامر) قبله مباشرة .

---

(١) راجع القطع ٢٢٠/٢٢١ ، والكشف ٢٤٠/١، والقرطبى ٤٤/٢ .

٢ - ترتب على ماسبق عدم جواز الوقف على قوله (ضامر) كيلا نفصل بين النعت (جمله يأتين) وبين المنعوت (كل ضامر) .

٣ - في ضوء ماسبق فإن المعنى على هذا الوجه : وأذن في الناس بالحج ، يأتي الحجيج راجلين من كل صوب وآخرون راكبون و تأتي دوابهم ضامرة مكدودة من وعثاء السفر من كل صوب بعيد .

الوجه الثاني : (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : (وعلى كل ضامر يأتون من كل فج عميق) ويلاحظ على هذا الوجه :

١ - أن الفعل (يأتون) الثاني جاء مسنداً إلى (واو الجماعة) وهو بذلك عائد على الحجيج .

٢ - أن الوقف على (كل ضامر) هو وقف حسن للبيان وبه ندفع توهم أن الإتيان يعود إلى (كل ضامر) على حين أنه في ضوء هذا الوجه ، إنما يعود إلى الحجيج .

٣ - والمعنى في ضوء الوجه الثاني : وأذن في الناس بالحج يأتي الحجيج ، منهم راجلون وآخرون راكبون دوابهم الضامرة ، ويأتي الجميع من كل حدب وصوب بعيد .(١)

وقد أثر تنوع الضمير الذي أسند إليه الفعل يأتي مابين نون النسوة وواو الجماعة ، مع تغير حكم الوقف على (ضامر) وعدم الوقف ، تعاونت

(١) راجع معاني الزجاج ٤٢٢/٣ ، ومعاني الفراء ٢٢٤/٢ و المكتفى ٣٩٤/٣٩٥ والقطعة ٤٩١ ، وإيضاح الوقف ٧٨٤ ، ٧٨٥ والقرطبي ٣٩/١٢-٤٠ .

القرينتان معاً في توجيه المعنى من وجه لوجه .

٥ - ٣ - ومن اجتماع الوقف والإسناد آخيراً قوله تعالى : ﴿ فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً ﴾ [الفرقان ٣٦]

تقرأ هذه الآية على وجهين :

الوجه الأول : وهي القراءة المشهورة : (فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : (فدمرناهم تدميراً) يلاحظ على هذا الوجه :

١ - أن الفعل (فدمرناهم) مسند إلى نا الدالة على الفاعلين ، وهو فعل في صيغة المضيّ + هم مفعول .

٢ - أن الأمر بالذهاب للمكذبين إبلاغ ، والتدمير إخبار بالجزاء فهما منفصلان ، والفصل مشعر بالإمهال ، و الرحمة الإلهية التي تعطيهم الفرصة ليثوبوا إلى رشدهم . ولذلك جاء الوقف ليفصل بين البلاغ وبين العقاب .

٣ - والمعنى في ضوء ماسبق : فبلغناهم الرسالة ، فلم يقبلوا منهما : فقال عز من قائل : فدمرناهم تدميراً ، قاضياً عليهم بما يستحقون بعد أن بلّغهم ثم أمهلهم فلم يرتدوا عن غيهم .

أما الوجه الثاني : وهو قراءة شاذة مروية عن علي بن أبي طالب : (فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فَدَمِّرَنّهم تدميراً) . ويلاحظ على هذه القراءة :

١ - أن الفعل (دَمّرنّهم)[1] مركب من دَمّر : فعل أمر + نون توكيد ثقيلة + فاعل مستتر تقديره أنت + هم : مفعول به + (تدميراً) مفعول مطلق مؤكد .

٢ - يلاحظ أن الأمر بالتدمير مسبب عن العصيان والعناد ، فلاينفصل المسبَّب (التدمير) عن السبب (العناد والتكذيب) ، وهو مايجعل الوقف على (بآياتنا) غير مناسب ، لأنه يفصل بين السبب والمسبب .

٣ - والمعنى في ضوء ماسبق : أنهم لما عصوهما كان سبباً لهلاكهم .[1]

مماسبق يتبين أن الوقف قد تعاون مع قرينة أخرى في التأثير على الدلالة التركيبية ، وقد عرض البحث للوقف مع العلامة الإعرابية ثم الوقف مع الصيغة ، ثم الوقف والأداة فالوقف والوظيفة النحوية وأخيراً الوقف مع الإسناد للضمائر . وقد أكد البحث أن تأثير الوقف على الدلالة التركيبية بالتعاون مع إحدى هذه القرائن لايعني أن الوقف لايتعاون إلا مع هذه الطائفة من القرائن ، بل إن ماذكر من قرائن هو مجرد عينة لإبراز هذا الأثر فحسب دون أن يعني حصراً لكل القرائن التي تشارك الوقف الأثر . ولعل الصفحات المتبقية من هذا البحث تنجح في إلقاء مزيد من الضوء على عينة أخرى من الأمثلة اجتمعت فيها قرينتان فأكثر بالإضافة للوقف ، وهو نمط من أنماط تضافر القرائن في توجيه الدلالة التركيبية ، وهو نمط أكثر ثراءً وعمقاً من حيث تنوع القرائن وما ترتب على ذلك من أثر على المعنى .

(١) كتبت في إيضاح الوقف : (فدمّر انهم) وجاءت في شواذ القراءات (فدمّرانّهم) بنون خفيفة ، و(فدمّر بهم) على صيغة أفعِل به و(فدمّرتُهم) ماضي مسند للتاء . انظر إيضاح الوقف ٨٠٧ ، والقطع ٥٢٢ ، ومختصر في شواذ القراءات ١٠٥ .

الفصل الثالث

أثر الوقف مع قرينتين فأكثر

الفصل الثالث

أثر الوقف مع قرينتين فأكثر

إن التركيب اللغوي هو بنية مركبة من مجموعة من العناصر الصرفية والنحوية وهذه العناصر تتمثل في نوعين ، مبانٍ ومعانٍ ، وكلا النوعين له دور في الدلالة التي يؤديها التركيب ، غير أن بعض العناصر قد يطغى أثره في تحديد المعنى من بين الاحتمالات الدلالية التي تسمح بها صيغته المكونة له . فقد يكون النبر هو العنصر البارز القادر على تحديد المعنى وقد يكون التنغيم وقد يكون الوقف بين الوحدات ، وقد يكون حذف عنصر أو وجود صيغة معينة وربما كان العامل الحاسم هو العلامة الإعرابية لوحدة معينة أو أكثر ، أو غير ذلك من قرائن ، وربما اجتمع أكثر من قرينة تدعم كون معنى معين هو المقصود من التركيب المعين . فكل العناصر المقالية ، الصوتية والصرفية والنحوية ، وماتحمله من قيم دلالية لها دور في تحديد المعنى مع التسليم بأن أحد هذه العناصر وهو القليل أو مجموعة منها وهو الغالب قد تكون أكثر بروزاً في توجيه المعنى وجهة معينة دون غيرها من القرائن القادرة على هذا التوجيه . والبحث يرصد من خلال الأمثلة الأثر الذي يؤديه الوقف ومعه قرينتان فأكثر .

ومن أمثلة اجتماع الوقف مع قرينتين أخريين مايلي :

١ - اجتماع الوقف مع العلامة الإعرابية والصيغة مثل :

١-١ قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر ﴾ [سورة البقرة ٢١٠] فهذه الآية تقرأ بثلاث طرق أو على ثلاثة أوجه .

الوجه الأول : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلَلٍ من الغمام والملائكةُ ﴾ برفع (الملائكةُ) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : ﴿ وقضي الأمر ، وإلى الله ترجع الأمور ﴾ .

والمعنى في ضوء قراءة الرفع ، وطبقًا لهذا الوقف هو : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله وتأتيهم الملائكةُ في ظللٍ من الغمام .

الوجه الثاني : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكةِ ﴾ بجر (الملائكةِ) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : ﴿ وقضي الأمر ، وإلى الله ترجع الأمور ﴾ على اعتبار أن الملائكة معطوفة على الغمام .

والمعنى وفقًا لهذا الوجه : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وظللٍ من الملائكة .

الوجه الثالث : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكةِ وقضاء الأمر ﴾ بجر (الملائكةِ) ، ومجيء (قضاء) بصيغة المصدر ، وليس فعلاً كما في القراءتين الأوليين ، هنا وقف ثم يبتدأ ﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾ .

والمعنى على القراءة الأخيرة : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظللٍ من الغمام مع الملائكة ومع قضاء الأمر . أو : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام وبالملائكة وبقضاء الأمر[1].

وهنا نلاحظ تضافر ثلاثة قرائن مؤثرة على توجيه المعنى ، الأولى قرينة العلامة الإعرابية وتمثلت في التنوع بين جر الملائكة ورفعها ، وقرينة الوقف

(١) انظر إيضاح الوقف ٥٤٨/٥٤٩ ، ومعاني الفراء ١٢٤/١ ، ومعاني الزجاج ٢٨٠/١/٢٨١ وإعراب النحاس ٢٥١/١ ، ٢٥٢ ، وتفسير الرازي وتفسير الكشاف ٣٥٣/١ ، القطع ١٨٢ ، ومعاني الأخفش ١٧٠/١ وتفسير القرطبي ١٩/٢ .

بعد (الملائكة) أو بعد (الأمر) ، وقرينة الصيغة بين صيغة الفعل (قضى) وصيغة المصدر (قضاء) لتجعل لكل وجه من هذه الأوجه معنى يختلف عن معنى سواه .

٢-١ ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قال يانوح إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح ﴾ [سورة هود ٤٦] .

تقرأ هذه الآية على وجهين :

الوجه الأول : ﴿ قال يانوح إنه ليس من أهلك ، إنه عَمِل غيرَ صالح ﴾ وتركيب الشق الثاني من الآية على النحو التالي :

إن الثانية : حرف توكيد + الهاء اسمها (عائد على ابن نوح أي الهاء اسم إن الأولى) عَمِل : (فعل ماض + فاعله ضمير يعود على اسم إن + غيرَ : مفعول + صالح : مضاف إليه ، وجملة عمل : خبر (إن) .

والمعنى على هذه القراءة : إن ابنك يانوح قد عمل عملاً غير صالح ، أو إن ابنك ذو عمل غير صالح .

الوجه الثاني : ﴿ قال يانوح إنه ليس من أهلك ﴾ هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : ﴿ إنه عَمَلٌ غيرُ صالح ﴾ .
وتركيب الآية الأخيرة :

إن (الثانية) : ناسخة + الهاء اسمها عائد على محذوف تقديره : إن سؤالك + عَمَلٌ مصدر خبر إن + غير : نعت للمصدر مرفوع + صالح : مضاف إليه .

والمعنى في ضوء القراءة الثانية : إن سؤالك إياى أن أنجي كافراً هو عمل غير صالح أو : إن سؤالك ماليس لك به علم عمل غير صالح[1].

وهنا تتعاون قرينة الصيغة المتمثلة في (عمل) الذي تنوعت فيه بين الفعلية والمصدرية ، وقرينة العلامة الإعرابية التي تنوعت بين رفع (غير) صفة لعمل أو نصبها على المفعولية . وقرينة الوقف على (أهلك) أو عدم الوقف ، تعاونت ثلاث القرائن في توجيه المعنى هذه الوجهة أو تلك على النحو الذي سبق تسجيله .

١-٣ ومن ذلك أخيراً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ من يضلل الله فلا هادى له ، ويذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [سورة الأعراف ١٨٦] .

تقرأ هذه الآية الكريمة على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : ﴿ من يضلل الله فلا هادى له ﴾ هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : ﴿ ويذرُهم في طغيانهم يعمهون ﴾ وتركيب الجملة الفعلية الأولى في الآيةالثانية : ويذرهم : واو استئنافية + مضارع مبدوء بياء الغيبة ، وهو مرفوع + فاعل مستتر تقديره هو عائد على لفظ الجلالة + هم : مفعول .... الخ .

ومعنى الآية الثانية على ذلك : وهو يذرهم في طغيانهم يعمهون .

الوجه الثاني : ﴿ من يضلل الله فلا هادى له ﴾ هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : ﴿ ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ وتركيب الجملة الفعلية الأولى في الآية الثانية : ونذرهم : الواو للاستئناف + مضارع مبدوء بالنون للتكلم ، وهو مرفوع + فاعل مستتر تقديره نحن (الحق سبحانه) + هم : مفعول .

(١) انظر إيضاح الوقف ٧١٢ ، ومعاني الفراء ١٨/١٧/٢ ، ومعاني الزجاج ٥٥/٣ ، والقطع ٣٩٠ ، ومشكل مكي ٣٦٧/٣٦٦/١ ، والمكتفي ٣١٦ ، والبيان ١٦/٢ ، والقرطبي ٤٦/٩ ، الطبري ٢٤٧/١٠ .

والمعنى وفقًا لهذا الوجه : ونحن نذرهم في طغيانهم يعمهون .

الوجه الثالث : ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ، ويذرْهم في طغيانهم يعمهون ﴾ لاوقف قبل (ويذرْهم) . وتركيب الجملة السابقة :

ويذرهم : الواو عاطفة + مضارع مبدوء بياء الغيبة ، مجزوم عطفًا على محل (فلا هادي) وهو الجزم في جواب الشرط وذلك كثير في كلام العرب من ذلك قول الشاعر :

فأبلوني بليتكم لعلـــي أصالحكم فأستدرج نويًا

فجزم استدرج بالعطف على موضع (لعلى أصالحكم) المجزوم جوازًا في جواب الطلب . ومن ذلك أيضًا :

أيًا صرفت فإنني لك كاشـــحٌ وعلى انتقاصك في الحياة وازددِ

فجزم (وازدد) على النسق على محل الفاء ، وأنشد الأخفش البصري :

دعني فأذهب جانبًا يومًا وأكفكِ جانبـــا

فجزم (وأكفك) على النسق على محل الفاء .

وبقية تركيب الجملة معروف (الفاعل مستتر تقديره هو عائد على لفظ الجلالة + هم : مفعول) .

وعلى القراءة الأخيرة لاوقف على قوله (لاهادي له) لئلا نفصل بين المنسوق عليه (موضع لا هادي) والمنسوق (نذرهم) .

والمعنى على هذا الوجه : من يضلل الله يذره في طغيانه عامهًا ، وليس له هادٍ[1].

(١) انظر معاني الزجاج ٢٩٣/٢ ، ومعاني الفراء ٨٦/١ ، والبيان ٣٨٠/١ وإيضاح الوقف ٦٧١ ومشكل مكي : ٣٠٦/١ .

وتضافر قرائن : الصيغة في تنوع الغيبة والتكلم (يذرهم / نذرهم) والعلامة الإعرابية ، في رفع الفعل وجزمه ، والوقف على (لا هادي له) وعدمه ، تضافر ذلك في توجيه المعنى واضح كما سبق بيان ذلك .

٢- اجتماع الوقف والعلامة الإعرابية والوظيفة النحوية :

مَرَّ بنا اجتماع الوقف مع العلامة الإعرابية ، كما مر إيضاح اجتماع الوقف مع الوظيفة النحوية ، وهنا يجتمع ثلاثهم في توجيه المعنى ومن أمثلة ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا ، لاتخاف دركًا ولاتخشى ﴾ [سورة طه ٧٧] .

تقرأ هذه الآية على أربعة أوجه وذلك على النحو التالي :

الوجه الأول : ﴿ فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا ، لاتخاف دركًا ولا تخشى ﴾ . وتتركب الجملة الثانية من :

لاتخاف : (لا) نافية ، (تخاف) مضارع مرفوع + فاعله ضمير مستتر تقديره أنت . والجملة السابقة في محل نصب صفة لـ (طريقًا) وعلى هذا الوجه لايجوز الوقف على (يبسًا) حتى لانفصل بين المنعوت (طريقًا) والنعت جملة (لاتخاف) .

والمعنى في ضوء ماسبق : فاضرب لهم طريقًا لست تخاف فيها دركًا .
ويجوز اعتبار جملة (لاتخاف دركًا) في محل نصب حال من الضمير في قوله (اضرب) العائد على موسى عليه السلام وعليه يكون المعنى : فاضرب لهم ياموسى طريقًا في البحر يبسًا غير خائف دركًا . وفي ضوء التوجيه الأخير لايجوز كذلك الوقف على (يبسًا) كيلا نفصل بين صاحب الحال وهو الضمير في (اضرب) وبين الحال (جملة لاتخاف) .

الوجه الثانى : ﴿فاضرب لهم طريقًا فى البحر يبسًا) هنا وقف ، ثم يبتدأ بقوله : (لاتخاف دركًا ولاتخشى ﴾ .

جملة لاتخاف : جملة استئنافية ، فيها الفعل مرفوع ، والمعنى فى ضوء ذلك : فاضرب لهم طريقًا فى البحر يبسًا ، فأنت لاتخاف دركًا ولاتخشى .

الوجه الثالث : ﴿ فاضرب لهم طريقًا فى البحر يبسًا ، لاتخف دركًا ﴾ هنا وقف ، ثم يبتدأ على الاستئناف بقوله : (ولاتخشى) .

ولاتخف : لا نافية[1] + تخف مضارع مجزوم جوازًا فى جواب الطلب (فاضرب) والمعنى فى ضوء ماسبق : إن تضرب لهم طريقًا فى البحر يبسًا ، لاتخف حينئذٍ دركًا ، ويستأنف (ولاتخشى) أى وأنت لاتخشى .

الوجه الرابع : ﴿ فاضرب لهم طريقًا فى البحر يبسًا ، لاتخف دركًا ، ولاتخشى﴾ .

لاتخف : مجزوم فى جواب الطلب + فاعل مستتر + دركًا مفعول .

ولاتخشى : واو عاطفة + لاتخشى معطوفة على لاتخف ، وثبتت الياء فيه ، وهذا جائز فى لغة العرب ، ومن ذلك قول الشاعر :

هزى إليك الجذع يجنيك الجنى

ولم يقل يجنك ، وقال آخر :

هجوت زبّان ثم جئت معتــذرًا   من سبِّ زبان لم تهجو ولم تدعِ

وقال آخر :

ألم يأتيك والأنباء تَنْمِى   بما لاقت لَبونُ بنى زياد

---

(١) ذهب الزجاج أنها ناهية جازمة ، والمعنى عنده: لاتخف أن يدركك فرعون ولاتخشى الغرق. ص .

فأثبت في (يأتيك) الياء ، وهي في موضع جزم ، وكذا (لاتخشى) برغم أنها في موضع جزم عطفًا على (لاتخف) فقد بقيت فيها الياء ، وذلك يماثل قول الحق سبحانه ﴿ يولوكم الأدبار ثم لاينصرون ﴾ [سورة آل عمران ١١١] فاستأنف بثم فهذا مثله »(١).

والمعنى على الوجه الرابع : إن تضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا لاتخف ولاتخشى حينئذٍ دركًا .

٢- وقد يجتمع مع الوقف أكثر من قرينتين على نحو مايظهر في الأمثلة التالية :

٢-١- اجتماع قرائن : الوقف ، والصيغة والوظيفة النحوية ، والحذف . من ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وآتاكم من كل ماسألتموه ﴾ [سورة إبراهيم ٣٤] . تقرأ هذه الآية على وجهين :

الوجه الأول : (وآتاكم من كل ماسألتموه) وتتركب هذه الآية مما يلي :

آتاكم : فعل + فاعل مستتر عائد على (الحق) + كم (مفعول) .

من كل : جار + مجرور غير منون .

ما سألتموه : ما مضاف لـ (كل) وهي موصول مبني في محل جر + جملة صلة ما (فعل + فاعل + مفعول) لامحل لها من الإعراب .

والمعنى في ضوء القراءة السابقة : إن الله قد آتاكم من كل شيء سألتموه أن يعطيكم إياه .

---

(١) معاني الفراء ٢/١٨٧ وانظر إيضاح الوقف ٧٦٨/٧٦٩ ، ومعاني الأخفش ٢/٤٠٨ ، والمكتفى ٣٨١ ، ومعاني الزجاج ص : والقطع ٤٦٧ ، وانظر القرطبي ٢٨٨/١١ والنشر ٣٢١/٢ .

الوجه الثاني : (وآتاكم من كلٍ) هنا وقف ثم يبتدأ بعد كلٍ المنونة : (ماسألتموه) . وتركيب الآية السابقة :

آتاكم : فعل + فاعل مستتر + مفعول

من كلٍ : جار ومجرور منون تنوين عوض عن كلمة محذوفة والتقدير من كل شيء .

ماسألتموه : ما : نافية + سألتموه (فعل + فاعل + مفعول) .

والمعنى في ضوء القراءة السابقة : وآتاكم من كل شيء لم تسألوه إياه . أي أنه تفضل عليكم بنعم لم تسألوه أن يتفضل بها عليكم ، فنحن لم نسأله مثلاً أن يهبنا شمساً ولاقمراً ، وهي نعم امتن بها علينا دون أن نسأله إياها ، وهذا مزيد فضل منه سبحانه[1].

وقد تمثلت قرينة الصيغة في اعتبار (ما) اسماً أو اعتبارها حرفاً . وتمثلت قرينة الوظيفة في إعراب (ما) إما اسماً مضافاً لكل ، أو اعتبارها حرفاً يفيد النفي .

وقرينة الحذف تمثلت في حذف كلمة (شيء) والتعويض عنها بالتنوين في كلٍ ، أو اعتبار (ما) هي الشيء فلاحذف .

وقرينة الوقف تمثلت في إمكانية الوقف على كلٍ منونة ، وعدم إمكانية ذلك وهي غير منونة . وفي ضوء تضافر هذه القرائن معاً . ثم توجيه المعنى في كل قراءة من هاتين القراءتين على الأنحاء التي سبق بسطها .

(١) راجع في هذا معاني الفراء ٧٨/٧٧/٢ ، والمكتفى ٣٤٠ ، وإيضاح الوقف ٧٤٢/٧٤١ ، ومعاني الأخفش ٣٧٦ ، ومعاني الزجاج ١٦٣/٢ ، والقطع ٤١٦ .

٣-٢- اجتماع الوقف والوظيفة النحوية والصيغة ، والحذف والدلالة المعجمية .

وقد تزيد القرائن وتتنوع بشكل أكثر تكثيفاً كما في توجيه قراءة قوله تعالى : ﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب﴾ [سورة البقرة ١٦٥] ففي هذه الآية كما يقول القرطبي : إشكال وحذف ، ويقول أبوجعفر النحاس : وفي هذه الآية قراءات وإعراب ومعان يحتاج معرفتها مع التمام[١] وليس يخفى أنهما قد أدركا تعدد القرائن التي توجه المعنى ، فالآية السابقة تقرأ على الأوجه التالية :

الوجه الأول : (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً ، وأن الله شديد العذاب) بلاوقف ، ونلاحظ على هذه القراءة :

أ) أن الفعل (يرى) بالياء أي بصيغة الغيبة .

ب) همزة (أن) الأُولى والثانية مفتوحة .

أما إعراب هذه الآية فعلى النحو التالي :

ولو يرى : عاطف + أداة شرط غير جازمة + مضارع مرفوع .

الذين ظلموا : الذين فاعل (يرى) + جملة فعلية صلة الموصول لامحل لها من الإعراب (فعل + فاعل) .

إذ يرون العذاب : ظرف + جملة (فعل + فاعل + مفعول) مضافة لـ (إذ) .

أن القوة لله جميعاً : ناسخ + اسمه + خبره (شبه جملة) والمصدر المؤول من جملة الناسخ مفعول يرى + حال .

---

(١) انظر القطع ص ٩٤ .

وأن الله شديد العذاب : جملة معطوفة على (أن القوة لله جميعًا) ناسخ + اسمه + خبره + مضاف إليه .

وعلى مستوى الوقف ، الكلام كله متصل فلاوقف على (العذاب) لأن مابعده مفعول يرى ، ولايجوز الفصل بين الفعل ومفعوله .

وعلى مستوى الدلالة المعجمية : (وهي قرينة دلالة معجمية) .

فقد اختلفوا في دلالة الفعل (يرى) فأبوعلي الفارسي وأبوعبيدة[1] يريان أن (يرى) من رؤية العين ، وعلى ذلك فهي تنصب مفعولاً واحداً هو ماتسبك من أن ومابعدها . على حين يرى الأخفش[2] والزجاج[3] أن (يرى) بمعنى يعلم ، وقوله (أن القوة لله) سدت مسد مفعولي يرى .

وبناء على هذه القراءة وفي ضوء القرائن السابقة يكون معنى الآية :

ولو يرى الذين ظلموا حين يرون العذاب كون القوة لله جميعًا ، وأنه شديد العذاب (وجواب الشرط محذوف) تقديره : لرأوا أمراً جللاً ، ولما اتخذوا من دونه أنداداً لا تضر ولاتنفع[4].

الوجه الثاني : ﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب﴾ هنا وقف ثم يبتدأ بقوله تعالى : ﴿إن القوة لله جميعاً وإن الله شديد العذاب﴾ .

ويلاحظ هنا :

– أن الفعل (يرى) بالياء أي بصيغة الغيبة كذلك ، كما في الوجه الأول .

(١) انظر الحجة ٢/٢٧٩ ، والكشف عن أوجه القراءات ١/٢٧١/٢٧٢ .
(٢) انظر معاني الأخفش ١/١٥٣/١٥٤ .
(٣) انظر معاني الزجاج ١/٢٣٨ .
(٤) انظر تفسير القرطبي ١/١٣٧/١٣٨ ، وتفسير الرازي ٢/٢٣٥ ، والبحر المحيط ١/٤٧٦ والكشف لمكي ١/٢٧١ .

– أن همزة (إن) الأولى والثانية مكسورة .

وعلى مستوى إعراب هذا الوجه :

ولو يرى الذين ظلموا : (كإعراب الوجه الأول) : عاطف + أداة شرط + فعل + فاعل + جملة صلة .

إذ يرون العذاب : إذ : ظرف مفعول يرى + جملة مضافة لإذ : فعل + فاعل + مفعول

إن القوة لله جميعاً : جملة استئنافية (ناسخ + اسمه + خبرة + حال) .

وإن الله شديد العذاب : جملة معطوفة : عاطف + ناسخ + اسمه + خبره + مضاف إليه .

وعلى مستوى الوقف :

فقد تم الوقف جوازاً على (العذاب) ، والكلام بعده مستأنف(١).

وعلى مستوى الدلالة :

يكون معنى الآية تبعاً لهذا الوجه : ولو يرى الذين ظلموا عجزهم حال مشاهدتهم عذاب الله . (والجواب محذوف) تقديره : لقالوا : إن القوة لله جميعاً ، وإن الله شديد العذاب(٢).

الوجه الثالث : تقرأ هذه الآية : ﴿ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب﴾ هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : ﴿إن القوة لله جميعاً ، وإن الله شديد العذاب﴾ .

---

(١) راجع الإيضاح ٥٣٨ ، النشر ٢٢٤/٢ ، والقطع ١٧٢/١٧ ومنار الهدى ٥٢/٥٣ ، والمكتفى .

(٢) راجع معاني القراء ٩٧/١-٩٨ ، والكشاف ٣٢٦/١ ، والقرطبي ١٢٨/١ وتفسير الرازي ٢٣٥/٢ ، والبحر المحيط ٤٧٦/١ ، ومعاني الزجاج ٢٣٨/١ ، ٢٣٩ ومعاني الأخفش ١٥١/١-١٥٢ .

ويلاحظ هنا مايلي :

١ - أن الفعل (ترى) بالتاء أي بصيغة الخطاب ، وهو موجه للرسول ﷺ .

٢ - أن همزة (إن) الأولى والثانية مكسورة كالوجه السابق مباشرة وعلى مستوى الإعراب .

ولو ترى الذين ظلموا : عاطف + أداة شرط + مضارع + فاعل مستتر تقديره أنت (يامحمد) + مفعول (اسم موصول) + جملة صلة .

إذ يرون العذاب : إذ : ظرف + جملة مضافة لإذ .

إن القوة لله جملة : جملة استئنافية (ناسخ + اسمه + خبره) + حال .

وإن الله شديد العذاب : جملة معطوفة (عاطف + ناسخ + اسمه + خبرة + مضاف إليه) .

وعلى مستوى الوقف : يجوز الوقف على (العذاب) لأن مابعده مستأنف[١].

وعلى مستوى الدلالة :

فإن المعنى في الوجه الثالث : ولو ترى يامحمد الظالمين حين يرون العذاب ، (وجواب لو محذوف تقديره : لقلت) : إن القوة لله جميعاً ، وإن الله شديد العذاب .

وعلى الوجه الرابع : تقرأ هذه الآية : ﴿ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب﴾ هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب) .

(١) راجع مشكل مكي ٢٧١/١/٢٧٢ ، والبيان ١٣٢/١/١٣٤ .

ويلاحظ هنا مايلي :

١ - أن الفعل (ترى) بالتاء أي بصيغة الخطاب كما في الوجه الثالث وهو موجه للرسول ﷺ .

٢ - أن همزة (أن) الأولى والثانية مفتوحة كما في الوجه الأول .

وعلى مستوى الإعراب :

ولو ترى الذين ظلموا إذا يرون العذاب : كالوجه الثالث : (عاطف + أداة شرط + فاعل مستتر تقديره أنت (يامحمد) + مفعول (اسم موصول) + جملة صلة + ظرف + جملة مضافة للظرف .

أن القوة لله جميعاً : ناسخ + اسمه + خبره + حال ، والمصدر المنسبك منها مفعول لفعل محذوف تقديره ترى أو المصدر المنسبك مفعول ثان لترى الأولى (عند من جعلها تنصب مفعولين) .

وأن الله شديد العذاب : جملة معطوفة (عاطف + ناسخ + اسمه + خبره + مضاف إليه) .

وعلى مستوى الدلالة :

فإن معنى الآية على الوجه الرابع : ولو ترى يامحمد الذين ظلموا حين يرون العذاب ، ترى أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب . هذا لمن قدر (ترى) محذوفة قبل (أن القوة) . أما من لم يقدر فالمعنى : ولو ترى يامحمد الذين ظلموا حين يرون العذاب وكون القوة لله جميعاً ، وكونه شديد العذاب . والجواب في كل ذلك محذوف تقديره لرأيت أمراً عظيماً أو ماشاكل ذلك من تقدير .

في ضوء المثال السابق يتبين مدى تضافر القرائن المتنوعة في توجيه المعنى مثل :

١ - قرينة الوظيفة النحوية التي تمثلت في اختلاف إعراب (الذين) مابين الفاعلية والمفعولية ، واختلاف وظيفة المصدر المنسبك من (أن ومادخلت عليه) بين المفعولية لـ (ترى) الأولى ، أو المفعولية لـ (ترى) محذوفة .

٢ - قرينة الصيغة : وتمثلت في صيغة المخاطبة (ترى) وما اقتضته من فاعل مستتر وصيغة الغيبة (يرى) وما اقتضه من فاعل ظاهر (الذين) .

٣ - قرينة الوقف على (العذاب) الأولى واعتبار مابعد ذلك استئناف ، أو عدم الوقف عند اعتبار المصدر المؤول بعد (العذاب) مفعولاً للفعل قبله (يرى) .

٤ - قرينة الحذف وتمثلت في تقدير فعل محذوف (ترى) قبل المصدر المنسبك في الوجه الرابع ، وكذلك تقدير جواب لو محذوف في أرجح التخريجات .

٥ - قرينة الدلالة المعجمية وتمثلت في تغير دلالة (ترى) هل هي بمعنى تبصر فتقتضي مفعولاً واحداً ، أم هي بمعنى تعلم فتقتضي مفعولين . والمفاعيل الممكنة هي (الذين) ، و (إذ) ، و (المصدر المنسبك) . فإذا كان الأخير معمولاً (لترى) الأولى امتنع الوقف على (العذاب) وإذا كان معمولاً لـ (ترى) المحذوفة ، جاز الوقف على (العذاب) ولكل من ذلك معنى يغاير صاحبه .

وليس من شك في أن كل قرينة من القرائن السابقة تلعب دوراً في توجيه المعنى تشارك به مع الأدوار التي تلعبها بقية القرائن في هذا

التوجيه ، بحيث نجد الوقف عنصراً من بين عناصر أخرى تشاركه نفس الخاصية فى التأثير على معنى التركيب المعين .

٣ - ٣ - وهذا مثال أخير لاجتماع أكثر من قرينتين فضلاً عن الوقف فى التأثير على الدلالة التركيبية وتمثلت هذه القرائن فى الوقف والوظيفة النحوية والدلالة المعجمية والرتبة :.

ففى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ومايعلم تأويله إلا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به﴾ [سورة آل عمران ٧] . تقرأ الآية السابقة على ثلاثة الأوجه التالية :

الوجه الأول : ﴿ومايعلم تأويله إلا الله﴾ هنا وقف تام ، ثم يتبدأ بقوله : ﴿ والراسخونَ فى العلم يقولون آمنا به﴾ .

وعلى مستوى الوظائف النحوية لوحدات هذه الآية نجد .

والراسخون فى العلم يقولون : واو استئنافية + (الراسخون) : مبتدأ + شبه جملة متعلق بإسم الفاعل + جملة فعلية (فعل + فاعل) خبر المبتدأ .

آمنا به : جملة فعلية (فعل + فاعل) مفعول به (مقول القول) + شبه جملة متعلقة بالفعل .

وعلى مستوى الدلالة المعجمية :

فإن دلالة كلمة (تأويله) : تعنى إما المتشابه من القرآن أو البعث أو المنسوخ من القرآن .

أما على مستوى الوقف : فيجب الوقف على (إلا الله) دفعاً لتوهم أن يكون (الراسخون) عالمين بتأويل القرآن على أى معنى من المعانى الثلاث المشار إليها وهذا هو رأى الجمهور .

ويكون المعنى في ضوء القرائن السابقة : فلايعلم متشابه القرآن أو البعث أو المنسوخ منه إلا الله ، أما الراسخون في العلم فيقولون : آمنا به .

الوجه الثاني : ﴿ ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : ﴿ يقولون آمنا به ﴾ .

فعلى مستوى الإعراب نجد :

والراسخون في العلم : الواو عاطفة + معطوف على لفظ الجلالة + جار ومجرور متعلق باسم الفاعل .

يقولون : مضارع + فاعله (والجملة في محل نصب حال من (الراسخون) : أي قائلين وهذا على نحو قول الشاعر :

الريح تبكي شجوهـــا والبرق يلمع في الغمامة

فيجوز أن يكون البرق معطوفاً على الريح ، ويلمع (جملة حال) كما يجوز البرق مبتدأ + يلمع (جملة خبر)[1] ، على نحو ماسبق في الوجه الأول من قراءة الآية .

آمنا به : جملة فعلية مقول القول في محل نصب + جار ومجرور متعلق بالفعل آمن .

وعلى مستوى الدلالة المعجمية :

فإن كلمة (تأويله) مقصود بها هنا : تفسير القرآن الكريم .

وعلى مستوى الوقف :

---

(١) انظر القرطبي ١٣/١٢/٢ ، وإعراب النحاس ٣١١/١ ، ومشكل مكي ١٤٩/١ والبيان في إعراب القرآن ١٩٢/١ والقطع ٢١٢/٢١٣ .

فيكون الوقف على (فى العلم) ولايجوز أن نقف على (إلا الله) لئلا نفصل بين المعطوف عليه (لفظ الجلالة) والمعطوف (الراسخون)[1] . ومع أننا بالوقف على قوله : (فى العلم) نفصل بين صاحب الحال (الراسخون) والحال (يقولون) وبه يكون الوقف غير تام ، فإننا نقف وقف بيان لدفع توهم أن (يقولون) خبر لـ (الراسخون) وهو غير المقصود طبقاً لهذا الوجه من التخريج .

وفى ضوء القرائن السابقة فإن معنى هذه الآية على هذا الوجه : فلايعلم تأويل القرآن إلا الله ، ويعلمه الراسخون قائلين آمنا به[2] .

الوجه الثالث : وهى قراءة ابن مسعود وأُبَى[3] : ﴿ومايعلم تأويله إلا الله﴾ هنا وقف ويبتدأ بقوله : ﴿ويقول الراسخون فى العلم آمنا به﴾ .

وعلى مستوى الإعراب :

ويقول الراسخون فى العلم : الواو للاستئناف + فعل + فاعل + جار ومجرور متعلق باسم الفاعل .

آمنا به : جملة مقول القول + شبه جملة متعلقة بـ (آمن) .

وعلى مستوى الوقف :

يجب الوقف على (إلا الله) لدفع توهم العطف بين لفظ الجلالة وبين (الراسخون) وطبقاً لهذا الوجه فمابعد الوقف مستأنف منفصل عما قبله .

---

(١) راجع المكتفى ١٩٤/١٩٥ ، إيضاح الوقف ٥٦٥ القطع ٢١٢/٢١٣ .
(٢) إيضاح الوقف ٥٦٥ ، والبيان ١٩٢/١ ، ومعانى الفراء ١٩١/١ ومعانى الزجاج ٣٨٧/١ ، والكشاف ٤١٣/١ ، والقرطبى ١٣/٢ .
(٣) الفراء ١٩١/١ ، والبيان ١٩٢/١ وإيضاح الوقف ٥٦٥ .

وعلى مستوى ترتيب الجملة (قرينة رتبة) نجد :

ويقول الراسخون : فعل + فاعل أو مسند + مسند إليه (الوجه الثالث).

والراسخون يقولون : مبتدأ + جملة خبر أو مسند إليه + مسند (الوجه الأول)

والفرق في المعنى كما هو معروف : التركيز على الحدث والاهتمام به طبقًا للقراءة في الوجه الثالث أما في الترتيب الثاني فالتركيز والاهتمام على القائل (الراسخون) كما في الوجه الأول من القراءة .

وفي ضوء القرائن السابقة يكون المعنى في الوجه الثالث : فليس يعلم مشكل القرآن إلا الله ، على حين يقول الراسخون في العلم آمنا به ، أو على حين أن الراسخين في العلم يقولون آمنا به .

مما سبق يتبين مشاركة كل قرينة وقيامها بدور في التوجيه النهائي للمعنى ، وتمثلت القرائن المشاركة في هذا التأثير فيما يلي :

١ – قرينة الوظيفة النحوية : فالراسخون إما مبتدأ أو معطوف أو فاعل .

وجملة يقولون : إما خبر أو حال ، وبصيغة الإفراد (يقول) كما في القراءة الثالثة فهي (مسند) .

٢ – قرينة وقف : وهو إما على قوله (الله) فيمتنع مشاركة (الراسخون) الله في التأويل ، أو أن يكون الوقف على (في العلم) فيشاركونه العلم به .

٣ – قرينة الدلائل المعجمية ، فالتأويل إما التفسير فيجوز أن يشارك (الراسخون) الحق في العلم به ، وإما المتشابه أو البعث أو منسوخ القرآن فلايشاركونه العلم به .

٤ - قرينة الرتبة : وبها يتبين أن ترتيب الوحدات هو والراسخون في العلم يقولون أو يقولُ الراسخون في العلم ، وعلى الترتيب الأول يمكن الوقف على (في العلم) طبقًا للوجه الثاني أو القراءة الثانية ، ويمكن ألا نقف طبقًا للوجه الأول أو القراءة الأولى ، على حين أن الترتيب الثاني يمتنع معه الوقف على (في العلم) حتى لانفصل بين الفعل (يقول) والمفعول (آمنا به) .

وفي ضوء القرائن السابقة وتأثيرها على دلالة التركيب ، اختلفت هذه الدلالة من وجه لآخر على نحو ماسبق بيانه .

وفي ضوء النماذج المتنوعة التي سبق تناولها يتضح أن الوقف قرينة سياقية هامة لها نفس التأثير الذي تقوم به كل القرائن السياقية اللفظي منها والمعنوي في تحديد معنى التركيب وتوجيهه ، وهو بذلك قسيم لهذه القرائن ، وكما أننا نلمح بالعلامة الإعرابية الدور الذي تؤديه الوحدات داخل التركيب ، والوظائف التي تقوم بها ، والمعنى المقصود من التركيب ، فإننا بالوقف يمكن أن نصل إلى نفس الأمر ، وأحيانًا تعجز قرينة واحدة من القرائن عن توجيه المعنى وتحديده ، الأمر الذي يجعل من فلسفة تضافر القرائن في تحديد المعنى ، ومن بينها الوقف وجهة نظر أكثر دقة في فهم الدور الذي تلعبه قرائن السياق المختلفة في التأثير على المعنى . وهو مايجعل التركيز على بعض القرائن (كالعلامة الإعرابية) مثلاً . وإهمال البعض كالنبر والتنغيم والوقف مجافيًا لحقيقة الدور الذي تلعبه منظومة القرائن المختلفة اللفظي منها (كالنبر والتنغيم والوقف والعلامة الإعرابية والصيغة ، والرتبة ... الخ والمعنوي ، كالإسناد ، والتخصيص والنسبة والتبعية ... الخ .

واعتداد الوقف قرينة لفظية بالرغم من أننا لاننطق شيئًا مع هذا الفونيم فوق المقطعي ، إلا أن عدم النطق في حد ذاته يمثل قيمة يقوم بها الوقف وهو هنا يُعرف بـ المورفيم الصفري(١) Zero morpheme ، وله معنى لايقل خطراً عن الوحدة الصوتية المنطوقة بالفعل ، كما أن سكوت البكر يقابل قول الثيب أوافق ، في الدلالة على قبول الزواج . فالقارئ كما سبق في البحث حين يقف في موضع فإن السامع يفهم من الوقف معنىً لايفهمه بالوصل ، وذلك يماثل الفرق بين مايفهمه السامع حين نضبط كلمة (عارف) بالضمة أو الفتحة

جاء عارف — جاء عارفًا

أو مايفهمه السامع من ترتيب الجملة الأولى على نحوين مختلفين

جاء عارف — عارف جاء

فالوقف قرينة لفظية (عدمية أو سلبية) تماثل القرائن اللفظية (الإيجابية) أي الملفوظة فعلاً ، فيما تقوم به هذه وتلك من دور في توجيه المعنى والتأثير عليه على نحو ما أوضح هذا البحث .

---

(١) انظر اللغة للتدريس ص ١١٠ .

الخاتمـــــة

إن الحديث عن النظريات فى أى مجال معرفى أمر شائق ومثير ، ولا أحسب أنه يغيب عن أحد أن الإقناع بالأفكار النظرية ليس صعباً على أى منظر ، ولكن ما أعصى تحويل المفاهيم النظرية إلى واقع عملى ، ولجميع الأمم قديماً وحديثاً آراؤها فى كل الجوانب المعرفية ومنها اللغة ، وبرغم كثير من النظريات فى اللغة ، فإن القليل هو الذى استطاع أن يكشف عن قدرة حقيقية فى التعامل مع الواقع العملى للممارسة اللغوية ، سواء بتفسير النظام اللغوى أو فهم كيفية أدائه لوظيفته حين يتعامل مع المواقف العملية فليس صعباً أن أصف عناصر النظام اللغوى ، بقدر مايعنينى أن أفهم الدور الذى تقوم به أو الوظيفة التى يؤديها كل عنصر على حده ، والدور الذى تؤدية كل عناصر المنظومة معاً حين تتعالق وتنصهر معاً فى بوتقة النظام اللغوى . وفى ضوء ما أتيح للعلماء العرب قديماً من وسائل فقد أفلح علماؤهم فى أن يقفونا على مدى ماوصلوا إليه من نضج فى فهم الآلية التى تعمل بها اللغة ، والدور الذى تلعبــه العناصـــــر المختلفة فى أداء اللغة لوظيفتها .

وبرغم التقد م العلمى الهائل الذى استطاعت علوم اللغة المختلفة أن تحققة مستفيدة بكل من منجزات عصرنا من أدوات علمية ووسائل منهجية فى الدراسة والبحث . فإن هذا البحث استطاع أن يكشف عن فهم علمى دقيق سجله العلماء العرب لحقيقة الدور الذى تلعبه ظاهرة صوتية هى الوقف فى التأثير على دلالة التركيب ، ولم يقف هذا الإنجاز عند مجرد وصف الظاهرة وصفاً نظرياً ، وبيان موقعها من بين عناصر النظام الصوتى للغة أحد أنظمة اللغة الأساسية ، بل تجاوز فعلهم إلى رصد الدور الذى تؤديه هذه الظاهرة من

خلال النصوص الحية . أجل لم يقم فريق منهم بهذا العمل وحده ، بل تمثل القراءة الشاملة لمجمل معالجتهم للنصوص حقيقة ماقاموا به . وهو أمر يعني أننا من خلال ضم جهد علماء الوقف إلى جهد علماء اللغة والنحو ، إلى جهد علماء التفسير ، إلى جهد علمــاء البلاغة يمكــن أن نحصل على صورة متكاملة لهذا التصــور الذي امتلكــوه وسجلــوه بالفعل من حقيقة الوقف وأثره على المعنى .

وسعياً وراء فهم هذا النور ورصد ذلك الأثر جاء هذا البحث ليغطي جانبين أحدهما الفهم النظري الذي تحقق من العناية الفائقة والمبكرة بهذه الظاهرة وتسجيل هذا الفهم بوضوح وجلاء ، إذالوقف عندهم مرتبط أساساً بالمعنى وهو ما دعاهم إلى تحديد مفهومه وبيان أنواعه . فضلاً عن تسجيل الفروق الدقيقة بينها ، ولم يسلّم لهم البحث بكل ماقالوه عن ذلك بل ناقش ذلك معهم ، وأبان عن سلامة التفريق بين هذه الأنواع ، وعن عدم دقة التطبيق،الأمر الذي اقتضى إعادة تحديد الأنواع بشكل يسمح بوضع خصائص لكل منها أكثر دقة .

كما أشار البحث إلى أن وضع علامات لأنواع الوقف كوقوع بعض أنواعه قبل مبتدأ أو قسم أو ياء نداء أو ماشاكل ذلك من وحدات هو أمر مضلل ، لأن المعول عليه هو المعنى ، مما يجعل إمكانية اشتراك أكثر من نوع في بعض العلامات التي وصفوها أمراً قائماً .

ومما سجله البحث فهمهم الدقيق لارتباط الوقف بفكرة التلازم بين الوحدات أو العلاقات التركيبية بين الوحدات ، وبالوقف يتم إعادة تنظيم لهذه

العلاقات يترتب عليها قيامها بوظائف معينة وفي ضوء ذلك يتغير معنى التركيب .

وفي ضوء ماسبق حرص البحث أن يحدد المقصود بالدلالة التركيبية من بين أنواع الدلالات الأخرى ، سواء المرتبط منها بالكلمة المفردة أم المرتبط منها بالعلاقات التركيبية ، أم المرتبط منها بالنص وحدد من بينها ماهو مقصود بالدلالة التركيبية .

أما الجانب الثاني الذي غطاه هذا البحث فهو رصد التأثير الذي يلعبه الوقف في توجيه الدلالة التركيبية سواء أكان ذلك ناتجاً عن قرينة الوقف وحدها أم بمشاركة قرينة أخرى أو قرينتين فاكثر . وقد مثل هذا الشقّ من البحث الجانب التطبيقي الذي يعكس فهم العلماء العرب لدور هذه الظاهرة في توجيه المعنى ، وهو فهم عملي لأنه ظهر في معالجة النصوص وتقليبها على الأوجه المختلفة . ولعل هذا البحث أن يكون أول بحث يعرض لقيمة ظاهرة صوتية وأثرها على البنية التركيبية بشكل تطبيقي ، ويكشف عن توظيف عملي لهذه الظاهرة بعد أن طال حديثنا النظرى عن الظواهر الصوتية ، دون أن نلمس ذلك على مستوى الممارسة والتطبيق .

وتأتي أهمية ذلك في كونه دعوة إلى قراءة من أجل فهم اللغة وليس مجرد نطقها نطقاً سليماً من الناحية اللغوية أو النحوية ، قراءة هدفها المعنى ، الأمر الذي يتيح للدارسين استكمال الوظائف التي تؤديها عملية تعليم اللغة ، فلسنا نتعلم اللغة من أجل أن نقرأها ونكتبها فحسب وإنما من أجل أن نحسن فهم مانقرأ . ولا شك أن توظيف الوقف في القراءة هو آلية منهجية دقيقة

تعين الدارسين على تدريب الملكة اللغوية لديهم على إدراك العلاقات التركيبية بين الوحدات ومايترتب على ذلك من دلالة ، وبذلك يكون الوقف ذا قيمة كبرى في التنبية إلى دلالة التركيب لاتقل أثراً عن قرينة العلامة الإعرابية والوظيفة النحوية التي ينفق طلابنا جل جهدهم لتحصيلها وإتقانها . وأذكر مثلاً أنه في ضوء قرينة الوقف وبالتعاون مع قرينة الأداة تبين أننا يُسَنُّ لنا أن نسجد في موضع معين لايجوز لنا أن نسجد عنده في ضوء قراءة أخرى ووقف آخر . وقد يتحول بالوقف المعنى من الأمر إلى النهي أو من الحسن إلى القبح أو من الجواز إلى الحرمة ، أو من استقامة المعنى إلى فسادة ، وهي تأثيرات لايستطيع أحد أن يغفلها في فهم النص الذي يقرأه أو يقرئه أحداً من الناس .

وإذا كان علماؤنا القدماء فهموا ذلك وما رسوه تطبيقاً فليس منهجنا في العناية ببعض الظواهر اللغوية دون بعض بسديد سواء على مستوى الدراسة العلمية الميدانية ، أم على مستوى تعليم اللغة ، ولعل هذا البحث أن يكون أحد هذه البحوث التي نبهت إلى قيمة ظاهرة لغوية هامه على مستوى الدراسة العلمية ، وأن يكون لذلك أثره على مستوى العملية التعليمية بالفعل .

المصـــادر والمراجـــع

المصادر والمراجع

- إبراز المعاني من حرز الأماني — أبو شامة الدمشقي
ت : إبراهيم عطـــوة عــوض
مطبعة مصطفى البابي الحلبي

- الإحكام في أصول الأحكام — الآمدي : سيف الدين أبو الحسن
ط: دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٣ .

- إعراب القرآن — أبو جعفر النحاس
ت: زهـــير غـــازي زاهـــد
مكتبه العاني – بغداد ١٣٩٧/١٩٧٧

- الإنصاف في مسائل الخلاف — أبو البركات بن الأنباري
ت : محمد محيي الدين عبد الحميد
دار إحياء التراث العربي ط٤ ١٩٦١

- إيضاح الوقف والابتداء — أبو بكر بن الأنباري
ت : محي الدين رمضان مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق

- البحث الدلالي عند الأصوليين — محمد حبلص
عالـــم الكتـب – القاهـــرة – ١٩٩١

- البحث اللغوي عند الهنود — أحمـــد مختــار عمر
دار الثقافــة – بيـروت ١٩٧٢

- البحـــر المحيـــــط — أبو حيان الأندلسي
دار الفكر للطبـاعة والنـشر ١٩٩٢

- البرهان في علوم القرآن — الزركشي
بدر الدين محمد بن عبد الله
ت : محمد أبو الفضل إبراهيم
مطبعة عيس البابي الحلبي ١٩٥٨

- بلاغة الخطاب وعلم النص — صلاح فضل
عالم المعرفة الكويت – أغسطس ١٩٩٢

البيان في غريب إعراب القرآن — أبو البركات بن الأنباري
ت : عبد الحميد طه دار الكاتب العربي
للطباعة ١٣٨٩ – ١٩٦٩

التبيان في إعراب القرآن — أبو البقاء العكبري
ت : علي محمد البجاوي
مطبعة البابي الحلبي

تفسير الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن — محمد بن جرير الطبري
ت : محمود محمد شاكر
دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ

التفسير الكبير – مفاتيح الغيب — فخر الدين الرازي
ط : دار الكتب العلمية – بيروت

تفسير النسفي — عبد الله النسفي
ط : دار إحياء الكتب العربية
وط : عيس البابي الحلبي

التقريب لحد المنطق — ابن باجه : أبو بكر محمد بن الصائغ
ت : إحسان عباس
ط : دار مكتبة الحياة

التمهيد في علم التجويد	ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ت : علي حسين البواب م / المعارف – الرياض – ١٩٨٥
التيسير في القراءات السبع	أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد عني بتصحيحه : أوتوبرتزل مطبعة الدولة – استانبول ١٩٣٠
الجامع لأحكام القرآن	القرطبي أبو عبيد الله محمد بن أحمد ط : مصر ١٣٥٤ – ١٩٣٩ وط : دار الكتب : ١٩٤٦ .
الحجة في علل القراءات السبع	أبو علي الفارسي ت : علي النجدي ناصف وآخرين دار الكاتب العربي بمصر
الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية	خالد الأزهري مطبعة صبيح
الخصائص	ابن جني أبو الفتح عثمان ت : محمد علي النجار دار الكتاب العربي – بيروت
دراسة الصوت اللغوي	أحمد مختار عمر عالم الكتب – القاهرة – ١٩٨٥
الدراسات الصوتية عند علماء التجويد	غانم قدوري الحمد ط – بغداد ١٩٨٦

دلائل الإعجاز
عبد القاهر الجرجاني
تصحيح : محمد رشيد رضا
دار المعرفة : بيروت ١٤٠٢ - ١٩٨١

دلالة الألفاظ
إبراهيم أنيس
مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢

الدلالة الصوتية
كريم زكي حسام الدين
مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٢

سنن الترمذي (الجامع الصحيح): الإمام الترمذي . محمد بن عيسى بن سورة ت : أحمد شاكر وآخرين
دار إحياء التراث - ١٩٦٢
ط : مطابع الفجر الحديثة - حمص

شرح على المقدمة الجزرية
أبو يحي زكريا الأنصاري
مطبعة البابي الحلبي ١٣٦٧ - ١٩٤٨م

شرح المفصل
موفق الدين بن يعيش
عالم الكتب - بيروت

الشفاء (العبارة)
ابن سينا - الشيخ الرئيس أبو الحسين بن عبد الله ت: محمد الخضيري
الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٠م .

الصناعتين
أبو هلال العسكري
ت: محمد علي البجاوي
ومحمد أبو الفضل إبراهيم
دار إحياء الكتب العربية - ١٩٥٢

الطراز — يحي بن حمزة العلوى
ط : المقتـــطف – مصـــر ١٩١٤ .

العبارة — أبو نصر الفارابى
ت : وكاتش ، س. مارو– بيروت : ١٩٦٠

العربية معناها ومبناها — تمام حسان
الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٩

علم أصول الفقة — عبد الوهاب خلاف
دار القلم للطبـاعة والنـشر ١٩٧٠

علم الدلالة — أحمد مختار عمر
دار العروبة للنشر والتـوزيـع – الكويت
–١٩٨٢

علم الدلالة — بير جيرو
ترجمة : منذر عياشى
دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر
١٩٨٨ دمشق

علم الدلالة العربى — فايز الداية
دار الفكر للطباعة والنشر – دمشق
١٩٨٥

علم الدلالة عند العرب — عادل فاخورى
دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت
١٩٨٥

علم النصّ ونظريةُ الترجمة — يوسف نور عوض
دار الثقة للنشر والتوزيع – مكة المكرمة
١٤١٠

القاموس المحيط. القيروزابادي .
مجد الدين محمد بن يعقوب
ط دار الجيل - بيروت .

الكتاب سيبويه أبو بشر عمرو بن قنبر
ت : عبد السلام هارون
الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٦٦/٦

كتاب القطع والائتناف أبو جعفر النحاس
ت : أحمد خطاب العمر
ط أولى : مطبعة العاني - بغداد ١٣٩٨ - ١٩٧٨

كشاف اصطلاحات الفنون التهانوى محمد على
ط : كلكتا - الهند - ١٩٦٢

الكشاف عن حقائق التنزيل الزمخشرى أبو القاسم جاد الله
ت: محمد الصادق قمحاوى
ط : البابى الحلبى ١٣٩٢ - ١٩٧٢

الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها مكي بن أبي طالب القيسى
ت : محيى الدين رمضان
مؤسسة الرسالة - بيروت : ١٤٠١ - ١٩٨١ .

كلمات القرآن - تفسير وبيان اللغة - فندريس حسنين محمد مخلوف بدون بيانات
ت : عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص
- الأنجلو المصرية ١٩٥٠

المحتسب في تبيين شواذ القراءات
ابن جني أبو الفتح عثمان
ت : علي النجدي وآخرين
القاهرة : ١٣٨٦هـ

مختصر في شواذ القراءات
ابن خالويه
عني بنشره برجشتراسر
المطبعة الرحمانية – مصر – ١٩٣٤

المستصفى من علم الأصول
الغزالي أبو حامد
ط :دار صادر عن ط: بولاق ١٣٢٢هـ

مشكل إعراب القرآن
مكي بن أبي طالب
ت : حاتم صالح الضامن
م : سلمان الأعظمي – بغداد ١٣٩٥ – ١٩٧٥

معاني القرآن
الأخفش الأوسط :
أبو الحسن سعيد بن مسعدة
ت : فائز فارس
ط : ٢ – ١٤٠١ – ١٩٨١

معاني القرآن
الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد
ط ٣– عالم الكتب ١٤٠٣ – ١٩٨٣

معاني القرآن وإعرابه
أبو إسحق الزجاج
ت : عبد الجليل شلبي

معجم ألفاظ القرآن
مجمع اللغة العربية
ط : دار الشروق

المعنى عند الأصوليين
طاهر حمودة
الدار الجامعية للطباعة والنشر -الإسكندرية ١٩٨٢

مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب
ابن هشام الأنصاري
ت : محمد محي الدين عبد الحميد
مكتبة ومطبعة صبيح

المقصد لتلخيص ما فى المرشد فى الوقف والابتداء
أبو يحي زكريا الأنصاري
ط : البابي الحلبي ١٣٩٣/١٩٧٣

المكتفى فى الوقف والابتدا
أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد
ت : يوسف المرعشلي
مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٤ - ١٩٨٤

منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا
أحمد بن محمد عبد الكريم الأشموني
ط : البابي الحلبي ١٣٩٣/١٩٧٣

من أسس علم اللغة
ماريو باي
ترجمة : أحمد مختار عمر
ط : عالم الكتب - القاهرة ١٩٨٣

مناهج البحث فى اللغة
تمام حسان
ط : دار الثقافة - الدار البيضاء ١٩٧٩ .

المنح الفكرية - شرح المقدمة الجزرية
ملا علي بن سلطان محمد القاري
ط : البابي الحلبي ١٣٦٧ - ١٩٤٨

من أسرار اللغة
إبراهيم أنيس
الأنجلو المصرية ١٩٨٥

من وظائف الصوت اللغوي النحو والدلالة — أحمد كشك م/ المدينة المنورة ١٩٨٣

محمد حماسة عبد اللطيف
م المدنية المنورة – القاهرة – ١٤٠٣ – ١٩٨٣

النشر في القراءات العشر — ابن الجزري
أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي
ت : علي محمد الضباع
دار الكتب العلمية – بيروت .

الفهرس